المحور الأول

التعريف العام بالإسلام

غير مرخصة للطباعة

١٥

الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «**السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**». متفق عليه.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ يقول في دبر صلاته: «**اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك. ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك، ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة**». رواه أحمد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(وَبَعْد)

فهذه صحائف كتبتها، لتجلية مفهومين مهمَّين من المفاهيم التي التبست على كثير من الناس في عصرنا بين الغلاة والمتسيِّبين. وهما:

١ ـ مفهوم الحرية الدينية وحقيقتها في نظر الإسلام.

٢ ـ مفهوم التعددية وحقيقتها في نظر الإسلام.

وحينما أقول: في نظر الإسلام، فإنما أعني: في ضوء النصوص المحكمات من القرآن والسنة الموصولة بمقاصد الشريعة الإسلامية، وأريد بالنصوص المحكمات: الواضحات الدلالة، التي لا تلتبس معها المفاهيم، والتي تعتبر أصلًا يرد إليه غيرها، بخلاف المتشابهات التي لا تعطي مدلولًا محدَّدًا، والتي يتبعها الذين في قلوبهم زيغ، ويعتبرونها عمدتهم في الفهم والاستنباط والجدال، ابتغاء الفتنة، وابتغاء التأويل غير المنضبط بالأصول الشرعية، والقواعد المرعية.

QaradawiBooks.com

وهذه النصوص كي تفهم فهمًا صحيحًا، يجب أن تؤصل بالمقاصد الكلية للشريعة، ولرسالة الإســلام، بحيث لا تصطدم النصوص الجزئية بالمقاصد الكلية، وأن تُفهم الجزئيات في ضوء الكليات، وتُربط الفروع بالأصول، وتُربط كلها بالأصل العام الذي جاء به الإسلام، وهو: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم للتي هي أقوم، وتحقيق الخير والصلاح، والحياة الطيبة لهم في حياتهم الدنيا، تمهيدًا للفوز والسعادة في الآخرة، وهي خير وأبقى.

وقد كان كل من البحثين قُدِّم لبعض المؤتمرات العلمية الإســلامية، ولقيا قبولًا واستحســانًا من المشــاركين، فرأيت أن أنشرهما معًا لتقارب موضعيهما، وأحسب أني حسَّنت فيهما بعض الشيء بالإضافة أو التعديل، وربما الحذف في أحيان قليلة، وهذا شــأن العمل البشري دائمًا فهو قابل للتحسين، والمؤمن لا يكتفي بطلب العمل الحسن، بل يطلب أبدًا الذي هو أحسن، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

أدعو الله أن ينفع بهما الكاتب والقارئ والناشر، وكلَّ من أسهم في توصيل كلمة الحق والخير للناس.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

الدوحة في: صفر ١٤٢٨هـ - فبراير ٢٠٠٧م

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحرية الدينية في شريعة الإسلام

١ ـ أهمية الدِّين في حياة الناس:

لقد اتَّفق معظم العقلاء من البشر على أن الدِّين روح الوجود الإنساني، وأن الإنسان من غير دين أشبه بالساري في الليل بلا مصباح ولا دليل يهديه.

فالدِّين ـ من الناحية العقلية ـ هو الذي يحُل ألغاز الوجود، وهو الذي يجيب عن أسئلة الإنسان الكبرى والخالدة، التي صاحبته وأقلقته منذ بدأ يفكِّر في نفسه وفي العالم من حوله، من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ أعني: السؤال عن البدء، وعن المصير، وعن الغاية.

فالدِّين هو الذي ينقذ الإنسان من عذاب الحَيْرَة والشك في معنى وجوده، ومَن أوجده، ولماذا أوجده، وما معنى الحياة والموت، وهل الموت خاتمة المطاف، أو هو بداية لحياة جديدة ومرحلة جديدة!

والدِّين ـ من الناحية النفسية ـ هو نداء الفطرة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

هذه الفطرة التي جُبلت على الإيمان بإله عظيم، تتَّجه إليه القلوب بالرجاء والخوف، والخضوع والحب.. هذا هو الإيمان الذي يُشبع جوع الفطرة، ويروي ظمأها، ويملأ فراغها.

QaradawiBooks.com

ولهذا كان الملحدون ـ المنكرون لوجود الله ـ قِلَّة لا وزن لهم على مدار التاريخ، وإنما كان الشرك هو الآفة التي أصابت البشرية من قديم، ولهذا بعث الله رسله للدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك، لا محاربة الإلحاد، كان النداء الأول لدى رسل الله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكان كثير من إلحاد الملحدين: إلحاد بطن وفرج، لا إلحاد عقل وفكر ـ كما قال شيخنا د. عبد الحليم محمود ـ أي: إنهم تحلَّلوا واتبعوا الشهوات، فأرادوا أن يبرِّروا انحلالهم، فأنكروا وجود الإله الذي يُلزمهم باجتناب المحرمات، وعمل الصالحات، ويحاسبهم على ما فعلوا، ويجزيهم ثوابًا وعقابًا.

الإيمان الدِّيني فطرة عامة في البشر، والإلحاد هو الشذوذ الذي يُثبت القاعدة، حتى قال أحد ملاحدة العرب المعروفين في عصرنا: لا تصدِّقوني إذا كتبتُ أو قلتُ: إني ملحد! فالحقائق الكبيرة لا تبطلها الألفاظ، إن إيماني يساوي وجودي، أنا مؤمن، إذن أنا موجود[(١)]!

وذكر الأديب المعروف الأستاذ أحمد أمين في بعض ما كتبه: أن أحد المصريِّين سافر إلى أوروبا، ثم عاد إلى قريته، فقال للناس: أنا ملحد! فقالوا له: لا نصدق أنَّك ملحد. فقال: أقسم بالله العظيم: إني ملحد!

والدِّين ـ من الناحية الأخلاقية ـ ضروري للإنسان، فهو الذي يمنحه «الحوافز» التي تدفعه إلى الخير، وإن لم يكن من ورائه نفع مادي أو شخصي عاجل له، فهو يفعل الخير لإرضاء ربه، وتحصيل مثوبته، ودخول جنته. كما أن الدين يمنحه «الروادع» التي تردع الإنسان عن اقتراف الشر والرذيلة، وارتكاب الجريمة بأنواعها، خشية حساب الله تعالى، وعقابه في الدنيا والآخرة، ورجاء ثوابه في الدارين أيضًا.

(١) هو عبد الله القصيمي في كتابه أيها العقل من رآك.

QaradawiBooks.com

فالدِّين هو أعظم ما يُحْيي «الوازع الدِّيني»، أو الضمير الدِّيني في نفس الإنسان.

والدِّين من الناحية الاجتماعية يقيم أوثق الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان، بحيث يتجاوز الدم واللون واللغة والإقليم والطبقة، ويجعل الناس إخوة بعضهم لبعض، ويجعل الإنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بل يؤثر أخاه على نفسه.

هذه هي النقطة الأولى.

٢ ـ اختلاف الدِّين حقيقة واقعة:

والنقطة الثانية: هي اختلاف الدِّين بين الناس، وتعُدد الأديان، فهو حقيقة واقعة، وهو ضرورة بين البشر، في نظر الإسلام، فقد أرادت مشيئة الله تعالى: أن يكون هذا النوع الإنساني مخلوقًا مختارًا، فقد منحه الله العقل والإرادة، فلا بدَّ أن تختلف مواقفهم واختياراتهم، هذا ما شاء الله لهم، ولو شاء غير ذلك لجعلهم ملائكة أو كالملائكة، مفطورين على طاعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

قال المفسرون: أي للاختلاف خلقهم(١).

فهذا الاختلاف بمقتضى خلق الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٥/٩)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، وابن كثير (٣٦٢/٤)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

٣ ـ العلاقة بين الأديان: حوار أم صراع؟

ونتقل من هذه النقطة إلى النقطة الثالثة، وهي العلاقة بين الأديان المختلفة: أهي علاقة الخصام والصراع، أم علاقة التفاهم والحوار؟

وهنا قد يُفهم الإسلام خطأً؛ لأنه رافع راية الجهاد، وقاتل أعداءه. ولكنه لم يفعل ذلك إلا تحت ضغط الواقع المُرِّ، فقد دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فرُفع السيف في وجهه، وحُكم على الدعوة الجديدة بالإعدام، وفُتن معتنقوها في دينهم، عُذِّب من عُذِّب، وقُتل من قُتل، وهاجر من هاجر، وجُوِّع من جُوِّع، والمسلمون صابرون مصابرون، يريدون أن يحملوا السلاح دفاعًا عن أنفسهم وحرماتهم وعقيدتهم، والرسول يأمرهم أن يكفُّوا أيديهم(١).

وبعد ثلاثة عشر عامًا أذن الله تعالى لهم أن يقاتلوا دفاعًا عن أنفسهم وحرية دينهم، بل عن حرية الأديان السماوية كلها، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

أما الأصل في منهج الدعوة الإسلامية، فقد وضَّحه القرآن بعبارات

(١) إشارة إلى حديث: أن عبد الرحمٰن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنَّا كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنَّا صرنا أذلَّة. فقال: «**إني أمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا**». فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال، فكفُّوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]. رواه النسائي في الجهاد (٣٠٨٦)، والحاكم في الجهاد (٦٦/٢)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جليَّة بيِّنة، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالموافقون يُدعَوْن بالحكمة التي تخاطب العقول، والموعظة الحسنة التي تحرِّك المشاعر، والمخالفون يُدعَوْن بطريق الحوار، وليس مجرد حوار، بل حوار بأحسن الطرق، وأرقِّ الأساليب، التي تقرِّب بين المتباعدين، وهو ما سمَّاه القرآن: الجدال بالتي هي أحسن.

وإذا كان هذا مطلوبًا مع الناس عامة، فهو مطلوب مع أهل الكتاب على وجه الخصوص، حيث يقول القرآن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهنا لم يكتف القرآن بأمر المسلمين أن يجادلوا بالتي هي أحسن، بل نهاهم أن يجادلوا بأي طريقة إلا بالطريقة التي هي أحسن، كما أمرهم أن يَذْكُروا الجوامع المشتركة التي تُقرِّبهم من مخالفيهم، وتُقرِّب مخالفيهم منهم، وهي: أن المسلمين يؤمنون بكتبهم المُنزَّلة من السماء، ويؤمنون بالإله الواحد، الذي يدين له الجميع، بالطاعة والعبادة، والحب والولاء.

ومن قرأ القرآن مكيَّه ومدنيَّه وجده كتاب حوار من الطِّراز الأول[1].

لا مشكلة عندنا مع المسيحية:

وأود أن أقول هنا: إنه لا مشكلة عندنا مع المسيحية والمسيحيين ـ أو النصرانية والنصارى كما سماهم القرآن ـ فنحن نؤمن بأن المسيحية

(١) انظر كتابنا: كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والخلاف صـ١٩٦ ـ ٢٠٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، والصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ١٥٨ ـ ١٦٣، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

ديانة سماوية جاء بها كتاب من عند الله، هو الإنجيل الذي أُنزل على عيسى، الذي قال فيه القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. والذي ذكر القرآن له من الآيات والمعجزات ما لم يُذكر في الأناجيل الموجودة كلها، مثل تصويره من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، ومثل نزول المائدة من السماء، ومثل إنطاق الله له في المهد صبيًّا، حتى إن القرآن سمَّى سورة من سوره باسم «مريم»، وسورة باسم أسرة المسيح «آل عمران»، وعِمْران جدّ المسيح، فإن مريم ابنة عمران.

وهذه النظرة رتَّبت أحكامًا خاصة للنصارى باعتبارهم أهل كتاب، حتى أجاز القرآن للمسلم أن يتزوج من كتابية، تكون ربَّة بيته، وشريكة حياته، وأم أولاده، ويكون أهلها أصهاره، وأبوها جدّ أولاده، وأمها جدَّتهم، وإخوانها وأخواتها أخوالهم وخالاتهم.

ولكن المشكلة حقيقة تكمُن في أن المسيحية لا تعترف بالإسلام دينًا سماويًّا، ولا تعترف بالقرآن كتابًا إلهيًّا، ولا تعترف بمحمد رسولًا نبيًّا. حتى إن بعض الإخوة المسيحيين في مؤتمر للحوار الإسلامي في القاهرة: رفض صراحة أن يقول عن الإسلام: إنه من الأديان السماوية، كما رفض أن تُسمَّى القِيَم التي جاء بها الإسلام: «قِيَمًا ربانية»؛ لأن في هذا اعترافًا بأن الإسلام وحي من الله، وهو لا يؤمن بهذا! وهذه مشكلة تحتاج إلى حل، فهل نجد حلَّها عند الفاتيكان؟!

٤ ـ الحرية الدينية:

والنقطة الرابعة التي سنتحدث عنها هي: الحرية الدينية، وهي المقصودة بالحديث هنا، وهي موضوع هذه الندوة، ونعني بالحرية هُنا:

QaradawiBooks.com

رفع الإكراه عن الإنسـان، وترك حق الاختيار له، ليعتنـق بملء إرادته ما يشاء من الدِّين، ويُكيِّف حياته وفقًا لتعاليمه وشرائعه.

وهذه «الحريـة الدينية» ثمرة وضـرورة للاعتراف باختـلاف الدِّين، وتعدُّد الأديان، فمقتضى هذا الاعتراف: أن يكـون لكل امرئ دينه الذي اعتنقه وآمن به مختارًا، سـواء آمن به عن طريق النظـر والبحث والتفكُّر والبحث والاقتناع، وهذا واجب كل عاقل، أم كان إيمانه عن طريق التلقين في الصغر، وتقليد الأبناء للآباء، كما هو شـأن الأكثرية من الناس، الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

المهم أن يكون لـكل مُتديِّن دينه الذي يُؤثره، حقًّـا كان أم باطلًا، وهذا ما قرَّره القرآن منذ العهد المكي في السـورة التـي أنزلها الله لتردَّ على مسـاومات المشـركين الوثنيِّين ومحاولاتهم مع الرسول: أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، ثم ينظروا في النتيجة عسى أن يتوصَّلوا إلى حلٍّ وسط، أو لقاءٍ في منتصف الطريق، فنزلت هذه السورة حاسمة قاطعة رافضة، تخاطب الرسول ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

وهكذا رأينا هذه السـورة الحاسـمة في رفض عبـادة غير الله بهذا التكرير والتأكيد تنتهي بهذه الآية الكريمة التي تُقرِّر الحقيقة العظيمة: أن لكل إنسـان دينه، فأنتم أيها الوثنيون لكم دينكم الوثني، وأنا لي ديني التوحيدي. وهذا منتهى التسـامح، وإن كانت المشـكلة بعد ذلك أنهم قالوا: لنا ديننا، ولكن ليس لك دينك!

لقد قرَّر الإسلام «الحرية الدِّينية» الحقَّة، وأرسى دعائمها، ودافع عنها،

QaradawiBooks.com

حتى رأينا أول نص قرآني شرع القتال للمسلمين، جعل من أهدافه: الدفاع عن حرية الأديان جميعًا، فهو يقاتل دفاعًا عن معابد اليهود والنصارى (من الصوامع والبِيَع والصلوات)، كما يدافع عن مساجد المسلمين.

ومن واجبنا أن نُبيِّن هنا: حقيقة الحرية الدِّينية التي يُقرُّها الإسلام، ويحميها ويُنظِّمها، وهي التي تدخل في حرية الدِّين حقًّا، كما نُبيِّن الحرية التي يرفضها الإسلام وينكرها، ولا يعتبرها من حرية الدِّين، بل هي من الفساد في الأرض.

الحرية الدِّينية التي يُقرُّها الإسلام:

الحرية الدِّينية التي يُقرُّها الإسلام، وتؤيِّدها نصوصه، وتحميها شريعته، وتدافع عنها دولته: لها مظاهر معلومة، ودلائل بيِّنة، وهي عدة أنواع:

أولًا: حرية الاعتقاد:

أولى هذه الحريات هي: حرية الاعتقاد، أن يَدَع الإنسان دينه القديم، ويعتنق دينًا جديدًا، اقتنع به عقله، واطمأن إليه قلبه، فالواجب أن يُترك هذا الإنسان وما اختاره لنفسه، ولا يجوز أن يُكره على البقاء في دينه القديم، أو يُرد إليه بالقوة، فإذا لم يقبل العودة إلى دينه الذي تركه: صُبَّ عليه العذاب صبًّا، وفُتن في دينه بصنوف الأذى يلحق به وبمن يحب، وهذا ما رفضه الإسلام رفضًا قاطعًا، بل هو ما حارب لمنعه: منع الفتنة في الدين.

ينفي القرآن الإكراه في الدين بأساليب مختلفة، فمن ذلك قوله تعالى في القرآن المكي: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، والاستفهام هنا إنكاري في معنى النفي.

QaradawiBooks.com

وقوله تعالى في القرآن المدنـــي: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والنفي هنا في معنـــى النهي، أي: لا تكرهوا أحدًا في الدِّين. ولا أنكر أن هناك من المفســرين من قالوا: إن هذه الآية نسختها «آية الســيف»، التي يزعمون أنها نسخت نحو مائة وأربعين آية أو مائتي آية! وهذه دعوى لا دليل عليها، وقد ناقشــناها في دراستنا المُوسَّعة عن «فقه الجهاد»(١).

والحقيقة أن نفي الإكراه مُعلَّل بعِلَّة لا تقبل النسخ، فقد علَّل القرآن نفي الإكراه بقولــه: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقـرة: ٢٥٦]، بمعنى: أنه لا حاجة إلى إكراه أحد على دين الإســلام؛ لأنه لا يحتاج إلى ذلك، فهو بيِّــنٌ واضحٌ وضوح الشــمس في الضحى، تميز فيــه الهدى من الضلال، تنقاد إليه العقول، وتُذعن إليه القلوب طوعًا، فليس يفتقر إلى الإكراه بحال.

يقول الإمام ابن كثير في تفســير الآية الكريمة: «أي لا تُكرِهوا أحدًا على الدخول في الإســلام، فإنه بيِّــنٌ واضحٌ، جليٌّ دلائلــه وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحد على الدخول فيه، بل مَن هداه الله للإسلام، وشــرح صدره، ونوَّر بصيرته: دخل فيه على بيِّنة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على ســمعه وبصــره، فإنه لا يفيــده الدخول في الدِّيــن مُكرَهًا مقسورًا»(٢). انتهى.

وابن كثير يشير هنا إلى قاعدة شرعية مُقرَّرة، وهي أن الإيمان لا يُقبل إلا إذا قام على اقتناع واختيار حرٍّ، لا تشوبه أي شائبة للقسر.

(١) فقه الجهاد (٢٨٥/١ ـ ٣٣٣)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٩م.
(٢) تفسير ابن كثير (٦٨٢/١).

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية

ولذا لم يقبــل الله تعالى إيمان فرعون عندمــا أدركه الغرق في قلب البحر، فقال: ﴿ءَامَنتُ﴾، إذْ لم يكن لديــه اختيار حينئذ، فلقد كان الرد الإلهي عليه كما جــاء في القــرآن: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وكذلك رد الله إيمان الأمم التي كفرت بربها، وكذّبتْ رسله، وفرحوا بما عندهم من العلم، فلم يؤمنوا حتى رأوا العذاب ينزل بهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

ثانيًا: حرية التعبُّد وممارسة الشعائر:

ومن لوازم الحرية الدِّينية: أن يكون للمُتديِّن حرية التعبُّد، وممارسة شعائره الدينية، وأداء فرائضه الشرعية، ولا سيما ما كان منها من الأركان الأساسية، مثل الشــعائر العبادية الأربع في الإســلام: الصلوات اليومية الخمس وصلاة الجمعة كل أســبوع، وإيتاء الــزكاة، وصيام رمضان كل عام، وحج البيت مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلًا.

وكذلك في كل دين شــعائر وأركان لا بدّ أن تــؤدى، ولا يُعد المرء متدينًا إلا بالمحافظة عليها.

فلا يجوز أن يُمنع أصحابهــا من أدائها، ولا التضييــق عليهم فيها: صــلاة، أو صيامًا، أو رهبنــة، أو حجًّا (الذهاب إلى الأماكن المقدســة عندهم في القدس، أو بيت لحم وغيرها).

بل رأينا المسلمين في تاريخهم لا يُضيِّقون على النصارى فيما ليس ركنًــا ولا فريضة في الديــن، مثل: إظهــار الصلبــان، ودق النواقيس، والاحتفال بالأعياد الدِّينية وغيرها.

QaradawiBooks.com

ورأينـــا الاتفاقيات التـــي يعقدها المســـلمون معهم، مثـــل ما عقده خالد بن الوليد في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وما عقده عمر مع أهل إيلياء (القدس)(١).

وكثيرًا ما رأينا في بلاد إسلامية شتَّى مثل مصر وبلاد الشام: الكنائس بجوار المساجد جنبًا إلى جنب، يسمع الناس من هذه صيحات المؤذِّنين بالتكبير والتهليل، كما يســمعون دقَّات النواقيس في تلك، ولا يجدون حرجًا ولا تناقضًا في ذلك.

ربَّمــا وجدنا بعــض الفقهــاء يضيِّق في بنــاء الكنائــس الجديدة، وخصوصًا في المناطق الإســلامية، ولكن بعضًا آخر صرَّح بأن لهم أن يبنوا ما يحتاجون إليه في عبادتهم، وهو الذي جرى عليه العمل في سائر بلاد الإسلام، وأقرَّه العُرف الإســلامي العام. وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما رآه المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن(٢).

المهم في هذه الأمور هــو: أن الثقة المتبادلة بين الطرفين، وهي في العادة متوافــرة ما لم يتدخل عامــل غريب دخيل، فيُفســد العلاقة بين الفريقين، كما حدث فــي بعض الأحيان إبَّان الغــزو الصليبي لمنطقتنا العربية، وكما حدث أيام الغزو الاســتعماري الحديــث لديارنا العربية والإسلامية.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٦٠٩/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
(٢) رواه أحمــد (٣٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إســناده حســن. والطبراني في الكبيــر (١١٢/٩)، والأوسط (٣٦٠٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٧٨/٣ ـ ٧٩)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي فــي مجمع الزوائد (٤٢٨/١): رواه أحمــد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: حرية أداء الواجبات التي يفرضها الدين:

هناك غير الواجبات الشعائرية: واجبات شخصية واجتماعية أخرى يفرضها الدِّين، ويطالب بها أتباعه، ويعتبرها من لوازم الإيمان والاستقامة على أمره، وهذه الحرية يجب أن تُحترم وتُرعى.

ولا يجوز منع الإنسان من أداء واجب يُلزمه به دينه، في مأكل أو مشرب أو ملبس أو غير ذلك، فهذا داخل في صُلب الحرية الدِّينية، كما هو داخل في صُلب الحرية الشخصية.

إذ لا يجوز لأحد أن يجبر أحدًا على ترك واجب عليه، أمره به ربه، ويرى تركه حرامًا يعاقبه الله تعالى عليه.

ولهذا عجبنا كل العجب من موقف فرنسا العلمانية من قضية حجاب المسلمات في فرنسا، وبخاصة الطالبات منهن. كيف ضاق صدر العلمانية الليبرالية بفتاة تلبس خمارًا على رأسها، استجابة لأمر ربها في كتابه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؟ الخُمُر: جمع خمار، وهو غطاء الرأس. والجيوب: جمع جيب، وهو فتحة الصدر.

وهذا واجب على كل مسلمة، أجمعت على ذلك جميع المذاهب والمدارس الإسلامية: سنية، وشيعية، وزيدية، وإباضية، وأكَّده العمل المستمر من المسلمات طوال ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا، حتى دخل الاستعمار بلاد المسلمين، فبدأ يُغيِّر قوانينها كما يُغيِّر تقاليدها وآدابها.

وقد قيل: إن الحجاب من الرموز الدِّينية، التي ينبغي أن تُمنع في المجتمع، مثلها مثل الصليب على صدر المسيحية، والقَلَنْسُوة الصغيرة على رأس اليهودي!

QaradawiBooks.com

وهذا عجب من العجب، الحجاب ليس رمـزًا دينيًّا، ولا يخطر ببال من تلبس الحجاب: أنها تريد أن تُعبِّر عن دينها، وأنها تُعلن أنها مسلمة، بدليل أن المسلمة في قلب بلاد المسلمين تعمل هذا، وليست في حاجة إلى الإعلان.

الحجاب ليس رمزًا، الرمز الدِّيني هو ما ليس له وظيفة إلا الإعلان عن انتماء صاحبه لهذا الدين، مثل امرأة تلبـس صليبًا على عنقها، هذا الصليب ليس له فائدة ـ فيما يظهر لنا ـ إلا أنها تريد أن تقول: أنا نصرانية مسيحية. اليهودي الذي يلبس قَلَنْسُـوة تُغطي قطعة من رأسه، هذه ليس لها وظيفة؛ لأنه لو أراد أن يغطي رأسه لغطَّى رأسه كله، هذا رمز ديني. أما الحجاب فليس رمزًا، ولكن له وظيفة، وهو أنه يسـتر شـعر المرأة، ويستر نحرها وعُنقها، هذه وظيفة، فتسميته رمزًا دينيًّا لا يقبل بحال.

ثم إن الرمز الديني، يكون الإنسان حرًّا فيه مختارًا، يعني: أن مَن يضع الصليب على صدره، أو تضع الصليب على صدرها، يمكنه ألا يفعل، ولا حرج عليه في دينه، لكن هذا الحجاب ليس أمرًا اختياريًّا بالنسبة للمسلمة، هذا أمْرٌ أمَرَ الله تعالى به، فليس للمسـلمة الاختيار في هذا، هي مجبورة على أن تمتثل أمر الله ﷻ، ولذلك لا يقال: إن الحجاب رمز ديني.

ولو كان رمزًا دينيًّا لكانت المسلمة تلبسه في كل حال، ولكنها تلبسه أما الرجال الأجانب، وتخلعه أمام النساء، وأمام الرجال المحارم. وليس هذا شأن الرمز الديني.

رابعًا: حرية الامتناع عن المحرمات دينيًّا:

ومن لوازم الحرية الدِّينية: أن يكون للمُتديِّن الحق في الامتناع عمَّا يُحرِّمه دينه عليه، فإذا كان دينه يُحرِّم عليه شرب الخمر، أو حتى تقديمه لضيوفه، أو حتى مجرد الجلوس على مائدة يُدار عليها الخمر، ولا يجوز

QaradawiBooks.com

أن يُضغط عليه ليشارك المحتفلين أو المدعوِّين في شربهم ولهوهم، ولا ينبغي أن يُتهم بالتخلُّف أو قلة الذوق إذا لم يقدِّم لهم الخمر، أو يجلس معهم على مائدتها.

وإذا كان الدِّين يُحرِّم على المسلم أن يراقص امرأة أجنبية، ويُحرِّم على المسلمة أن تراقص رجلًا أجنبيًّا، فإن مقتضى الحرية الدينية: أن نحترم موقف الرجل المسلم أو المرأة المسلمة اللذين يمتنعان عن مزاولة هذا الرقص الذي ينافي تقاليدهما الإسلامية.

وإذا كان الدِّين يُحرِّم على المرأة الخَلْوة بالرجل الأجنبي، ويُحرِّم عليها أن تلبس ثيابًا غير محتشمة، كأن تكشف ما لا يجوز من بدنها مثل: شعرها ونحرها وذراعيها وساقيها، أو تلبس ما يَشِفُّ عن جسدها أو يَصِفُه ويُجسِّد مفاتنه، فتغدو «كاسية عارية» كما جاء في الحديث[1]؛ فلا يجوز لأحد أن يلوم المرأة على امتناعها عمَّا حرَّم الله عليها، أو يُضيِّق عليها في عملها، أو يفصلها منه، كما نرى في كثير من المذيعات في مجال الإعلام، والمضيفات في مجال الطيران وغيرهما في بعض البلاد الإسلامية.

بل قيل لي: إن سيدة فلبينية مسيحية في قطر أسلمت ولبست الحجاب، ففُصِلت من عملها في المؤسسة التي كانت تعمل بها.

الحق أن الإنسان المُكرَّم الذي استخلفه الله في الأرض: لا يجوز لأحد أن يقهره على ترك ما أمر الله، أو فعل ما حرَّم الله، فهذه إهانة للإنسان، ومُحادَّة لله تعالى شأنه.

(١) إشارة إلى حديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

خامسًا: حرية غير المسلم فيما يحله دينه وإن حرمه الإسلام:

وهنا نوع من أنواع الحرية لا يُعرَف إلا في دين الإسلام، وهو: احترام حرية من يرتكب أمرًا هو حلال في دينه، ولكنه حرام في الإسلام.

وهنا نجد الإسلام ـ بما فيه من سماحة وتوسعة وتيسير ـ يَدَع لهذا الشخص الحرية ليمارس هذا الأمر، الذي يبيحه له دينه، ولا يمنعه منه، وإن كان الإسلام يُحرِّمه، بل يشتدُّ في تحريمه.

وذلك مثل شرب الخمر، التي يُسمِّيها المسلمون «أم الخبائث»، ويعدُّونها من كبائر الإثم، وهي رجس من عمل الشيطان، وقد لُعن فيها عشرة، كل من ساهم في صنعها وتسهيلها لشاربها.. ومع هذا ـ لأن النصارى يرونها مباحة في دينهم ـ لم يُضيِّق عليهم فيها، ولم يمنعهم من شربها، على أن يكون ذلك فيما بينهم، ولا يُروِّجوها بين المسلمين.

وكذلك الخنزير من المُحرمَّات المنصوص عليها في القرآن، ولكنه حلال عند النصارى، فلا يُمنعون من تربيته، ولا من أكل لحمه بعيدًا عن المناطق الإسلامية.

وفي مذهب أبي حنيفة: من أتلف خمرًا أو خنزيرًا للذمي: غرم قيمته؛ لأنه أتلف مالًا مُتقوَّمًا عند صاحبه، فلزمه تعويضه(١).

وموقف الإسلام هنا، يُحسَب في باب تقدير الحرية الدينية للآخرين، وإن كانت فيما يحرمه الإسلام على أهله، كما يُحسَب في قيمة التسامح مع المخالفين، حيث لا يُضيِّق عليهم فيما هو مباح لهم، وهو حرام في الإسلام.

---

(١) انظر: بدائع الصنائع (١٦٧/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

هذا مع أن المباح يسع الإنسان أن يتركه، فليس هنا ما يُلزمه، ولا من يُلزمه بتناوله، ولو تركه مجاملة للمسلمين لكان محمودًا. ومع هذا لم ترضَ شريعة الإسلام السمحة أن تُضيِّق عليه فيه.

سادسًا: حرية غير المسلم في الاحتكام إلى دينه في الأحوال الشخصية:

ومن الحريات التي يرعاها الإسلام ويحترمها: حرية غير المسلمين في الاحتفاظ بقوانينهم فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحوها، من شؤون الأسرة، وهو ما يسمى «الأحوال الشخصية». وقد تكون لديهم أحكام معينة يُلزمهم بها دينهم حول الزواج ومتطلباته، والطلاق والتشديد فيه، فلا نُلزمهم بأحكام شرعنا، وقد جاء عن الصحابة والخلفاء الراشدين: اتركوهم وما يدينون.

وهذا ما لم يرضوا هم بالاحتكام إلى شريعتنا، فعندئذ نُطبِّق عليهم أحكامها كما نُطبِّقها على المسلمين، كأن يرضوا بتطبيق أحكام الميراث أو الوصية أو غير ذلك، وهو ما جاء في القرآن: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وأما الأحكام المدنية والمالية والجنائية وغيرها: فهو يقبل ما ترضاه الأغلبية، كما تقضي بذلك أنظمة الديمقراطية، والمسلم ينفذ هذه الأحكام على أنها دين وعبادة، وغير المسلم ينفذ ما رضيه الأغلبية، كما يرضى بكل القوانين العلمانية.

بل المفروض أن القوانين الإسلامية أقرب إلى المسيحية من القوانين العلمانية؛ لأن القوانين الإسلامية تحمل من المعاني الربانية والقيم الأخلاقية ما يجعلها أقرب إلى روح المسيحية من القوانين العلمانية،

QaradawiBooks.com

كما أن هذه القوانين نابعة من المنطقة التي يعيش في كنف حضارتها، فهي أقرب إليه من القوانين المستوردة(١).

الحريات التي يرفضها الإسلام:

إذا كان الإسلام يُقِرُّ كل تلك الأنواع والمظاهر من الحرية أو الحريات الدِّينية، بل يحميها ويذود عنها، فإن هناك أنواعًا أخرى من الحريات ينكرها ويرفضها.

١ ـ الحرية التي تُحرِّف الإسلام:

هناك من يريدون تحت ستار الحرية الدِّينية، أن يعملوا على تحريف الدِّين عن حقيقته، والإتيان بدين آخر، غير الدِّين الذي عرفه المسلمون خلال أربعة عشر قرنًا، فهم يريدون أن يفسروا الدِّين تفسيرًا جديدًا، يبدؤون فيه من الصفر، لا يعتمدون على تفسير مُفسِّر، ولا حديث مُحدِّث، ولا فقه فقيه، ولا تأصيل أصولي، ولا تقعيد مُتكلِّم، فكل الأقدمين رجال، وهم رجال!

فهم يريدون أن يقرؤوا القرآن قراءة معاصرة، غير قراءات السلف والخلف جميعًا، ويأخذون من الحديث ما يخدم هدفهم، ويصب في فكرهم، ويرفضون منه ما ليس كذلك، وهم لا يعترفون بفقه الفقهاء، من كل المدارس والمذاهب؛ لأنهم اجتهدوا لبيئتهم وعصرهم، ولم يجتهدوا لبيئتنا وعصرنا، فنحن أولى بالاجتهاد لأنفسنا.

وهم لا يعترفون بإجماع، ناهيك بأن يعترفوا بالجمهور أو المذاهب الأربعة أو الثمانية.

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا: بينات الحل الإسلامي صـ١٨٤ ـ ١٨٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

إنما هم لهم مذهبهم الخاص، وأئمتهم المعروفون هناك وراء البحار: في أوروبا وأمريكا، إنهم في الحقيقة لا يملكون أي شرط من شروط الاجتهاد، فلا يحيطون علمًا بقرآن ولا سنة. ولا يعرفون اللغة وعلومها، ولم يتمرَّسوا بالفقه ولا أصوله، كل ما يمتلكونه هو: الادعاء والاجتراء والافتراء.

حرية هؤلاء هي الخطر بعينه؛ لأنها لا تقف عند حدود، ولا تنضبط بضوابط، ولا تحدُّها قيود. ولا توجد في الدنيا حرية مُطلقة بلا قيود، لا للإنسان في الأرض، ولا للسفن في المحيطات، ولا للطائرات في أجواء السماء، كلها تمضي في مسارات معلومة، وفي مدارات مرسومة، لو حادت عنها لهلكت أو كادت.

لهذا أجمع علماء الأمة أن يضعوا الضوابط لكل علم، فهناك من وضعوا «أصول التفسير»، ومن وضعوا «أصول الحديث»، ومن وضعوا «أصول الفقه».

واعتبروا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، وخصوصًا قرونها وأجيالها الأولى: جيل الصحابة، وجيل التابعين، وجيل أتباعهم، وهم خير قرون الأمة، كما صحَّت بذلك الأحاديث.

ومن هنا كانت فكرة «عصمة مجموع الأمة» مهمة، فمن اصطدم بفكر مجموع الأمة ـ ولا سيما في خير قرونها ـ فهو بعيد عن الحق، غارق في الضلالة، متَّبعٌ غير سبيل المؤمنين.

٢ ـ حرية الانسلاخ من أحكام الشريعة:

ومن الحريات التي يُنكرها الإسلام: الانسلاخ من أحكام الشريعة، باسم الحرية الدِّينية، ذلك أن الإيمان بدين ما، يستلزم الإيمان بحُكم شريعته،

QaradawiBooks.com

فهذا مقتضى الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومن هنا لا يجوز أن يطلب من الفرد المسلم، ولا من المجتمع المسلم: التحلُّل من هذه الأحكام الثابتة واللازمة بدعوى حرية التدين، مثل طلب إباحة زواج المسلمة بغير المسلم، فهذا غير جائز بالإجماع: أن تتزوج المسلمة ابتداءً بغير المسلم.

أما إذا أسلمت المرأة وزوجها باق على دينه، ففيها تسعة أقوال ذكرها الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة، ومن هذه الأحكام: أنهما على نكاحهما القديم، ما لم يفرق بينهما سلطان، أي: تحكم بتفريقهما سلطة قضائية.

ومنه ما جاء عن عمر رضي الله عنه: تُخَيَّر بين الإقامة مع زوجها، وبين مفارقته[١].

وجاء عن علي رضي الله عنه: زوجها أحق ببُضْعها ما لم يخرجها من مصرها[٢].

وفي هذه الأقوال فُسحة للمرأة التي تحب زوجها ويحبها، وبينهما أولاد، وهو لا يمنعها من اعتناق الإسلام والالتزام بأحكامه، ولكنه لم ينشرح صدره للإسلام.

وهذا ما أفتيتُ به من قبل[٣]، وما أفتى به عدد من أعضاء المجلس الأوروبي للإفتاء، وقدَّم أحد الأعضاء فيه دراسة إضافية مفصَّلة موثَّقة بالأدلة، ووجد في المسألة ثلاثة عشر قولًا، وهو أخونا الشيخ عبد الله الجديع حفظه الله[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (١٠٠٨٣).
(٢) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (١٠٠٨٤).
(٣) انظر كتابنا: في فقه الأقليات صـ١٠٥ وما بعدها، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٥م.
(٤) القرار رقم (٣١)، الدورة الثامنة، بلنسية إسبانيا، يوليو ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الحرية التي تهدِّد نظام المجتمع:

ومن الحريات التي يُنكرها الإسلام: ما كان يُهدِّد المجتمع في نظامه، وفي أساس بنائه، وهي حرية الردَّة المُتعدِّية، فنحن نستطيع أن نقول: هناك رِدَّة مُتعدِّية.

الرِّدة القاصرة هي التي تقتصر على صاحبها، فهو يُغيِّر دينه في نفسه، ولا شأن له بغيره، فهذا عقوبته في الإسلام في الدار الآخرة، وفيه يقول القرآن: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولكن الرِّدَّة المُتعدِّية هي التي يدعو صاحبها إليها، وتكوِّن جماعة لها خط غير خط المجتمع، وهدف غير هدف الأمة، وولاؤها لغير أمتها، فهؤلاء يهدِّدون نظام المجتمع.

وهؤلاء مثل المرتدِّين الذين حاربهم سيدنا أبو بكر والصحابة معه، فقد ظهر هؤلاء في قبائلهم، وادَّعَوْا أنهم أنبياء ينزل عليهم وحي كالوحي الذي كان ينزل على محمد ﷺ، واتَّبعتهم قبائلهم وهم يعلمون أنهم كاذبون، من باب العصبية القَبَلية، حتى قال قائلهم: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[1]!

(١) عن عمير بْن طلحة النمري، عن أبيه، أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مه رسول الله! فقال: لا، حتى أراه. فلما جاءه قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم. قال: مَن يأتيك؟ قال: رحمن. قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة. فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر. فقتل معه يوم عقرباء. تاريخ الطبري (٢٨٦/٣).

QaradawiBooks.com

وفي هذا الجو لا يستطيع المؤمن بمحمد، الكافر بهؤلاء: أن يعلن عن نفسه.

ومن هؤلاء: مَن يتمرَّد على الدولة، ويقاوم أوامرها بما له من شوكة، ويمتنع عن فرائض هي من اختصاصها، مثل «منع الزكاة» التي هي حق المال، والمورد الأساسي للدولة الإسلامية، فامتناعهم عن أداء هذه الفريضة المالية يُضعِف الدولة، ويُعجزها عن القيام بأعبائها.

ولذا قاتل أبو بكر المرتدِّين أتباع الأنبياء الكاذبين، كما قاتل مانعي الزكاة، سواءً بسواء، وقال: والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[1].

حرية تغيير الدِّين (الرِدَّة):

أنا أعلم أن المسيحيِّين في الغرب إذا تحدَّثوا عن الحرية الدينية، فإنهم يركِّزون كل التركيز على معنى واحد، يدور حوله جُلُّ حديثهم، وهو: حرية الارتداد عن الدِّين، وأود أن أقول لهم كلمتين صريحتين:

الأولى: أنه لا يوجد دين يرحب بخروج الناس منه، بل كل دين حريص على بقاء أهله فيه، وتشبُّثهم به، حتى يحيَوْا عليه ويموتوا عليه، بل الغالب في الأديان: أن تسعى بكل جهدها أن تنشر دعوتها لدى الآخرين، وتُقنعهم بالإيمان بها، وتزيد من عدد أتباعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.. ولهذا رأينا دعاة التبشير والتنصير ينتشرون في العالم لنشر عقيدتهم النصرانية، حتى ذُكر: أن لهم نحو (٤,٧٥٠,٠٠٠) أربعة ملايين

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وسبعمائة وخمسين ألف مُبشِّر ومُبشِّرة في أنحاء العالم، وربما زاد عددهم الآن.

والثانية: أن هذه القضية لا تكوِّن مشكلة عندنا؛ لأن المعروف عن الإسلام منذ فجر تاريخه: أن من آمن به حقًّا لا يخرج منه، بل هو لا يرضى بدينه بديلًا، ولو كان مُلْك المشرق والمغرب، وقد سأل هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية أبا سفيان بن حرب عن أتباع محمد: هل يرتدُّ منهم أحد سَخْطة على دينه؟ فقال: لا. قال: وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب(١).

ولو حدث أن شخصًا ما أثَّرت عليه مؤثِّرات، فارتدَّ عن دينه، فالواجب أن يناقشه أهل العلم، ويُزيحوا عنه الشبهة، وهو ما يعبِّر عنه الفقهاء بأنه يستتاب، أي: تطلب منه التوبة بالحوار معه، فإن أصرَّ على موقفه، فقد اختلف الفقهاء في حكمه، فجمهور الفقهاء يرون وجوب قتله؛ لأنه أصبح خطرًا على المجتمع، وبعضهم لا يرى ذلك.

وقد كتبتُ رسالة حول هذه القضية «جريمة الردَّة وعقوبة المرتدّ»(٢)، نشرت في سلسلة «رسائل ترشيد الصحوة»، لا بأس أن أنقل خلاصة منها هنا:

«من أبرز الشبهات التي يثيرها الغربيون وتلاميذهم وفروخهم حول الإسلام: موقف الإسلام من الردَّة والمرتدِّين عنه، فهو لا يسمح لأحد أن يتركه بعد أن دخل فيه، ومن فعل ذلك حُكم عليه بالقتل. وكأن الإسلام يُكره الناس على البقاء فيه، ويسجنهم في قفصه بغير اختيارهم، وإلا أطار رؤوسهم بحدِّ السيف، كما فعل أبو بكر الخليفة الأول، والصحابة معه في حرب المرتدين من قبائل العرب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

(٢) نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما جعل بعـض الكُتَّاب المُحْدَثيـن والمعاصرين ينكرون حدَّ الردة، أو عقوبة الردة، ويقولون: إنها لم ترد في القرآن، كما ورد فيه حدُّ السرقة، وحدُّ الزنى، وحدُّ القذف، وحدُّ الحرابة. بل ليس في القرآن آية واحدة تشير إلى عقوبة المرتد!

بل ورد في القـرآن ما يؤكِّد حرية الأفراد في اختيـار دينهم، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢]، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ويقول هؤلاء الكُتَّـاب المتحـرِّرون: إن كل ما ورد فـي الردة من الأحاديث: حديث واحد لا ثانـي له، وهو الذي يقـول: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»(١). ومثل هذا الحديـث لا يُقاوم ظاهر القرآن، ولا يُشـرِّع هذا الحكم الخطير، وهو «قتل المرتـدِّ» وهو عقوبة على جريمة فردية تعتبر من جرائم الرأي وإعمال العقل. فهل يُحظَر على الإنسـان أن يفكِّر وأن يغيِّر موقفه بناء على تفكيره؟

والجواب: أن هذه الشـبهات أو التساؤلات تشـتمل على أغلاط أو مغالطـات كثيرة، فليسـت «الرِّدَّة» مجـرد جريمة فرديـة لا أثر لها في المجتمع، وليست بجريمة هيِّنة الأثر والخطر، وليست مجرَّد رأي يختاره المسلم بدل رأيٍ آخر.

كما أنه ليس صحيحًا أن القرآن ليس فيه آية واحدة تشير إلى عقوبة المرتد، فهذا من سوء الفَهم في القرآن، ومن القصور في استيعاب آياته وأحكامه.

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠١٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وكذلك ليس بصحيح أن السـنّة النبوية لم يجئ فيها بشأن الردة إلا حديث واحد، فهذا ناشئ عن الجهل بالسُّنَّة، والقصور في الإحاطة بمصادرها، وهي ميسورة لمن يطلبها من الباحثين الجادِّين.

كما أن عقوبة القتل للمرتد ليست مُجمعًا عليها، فهناك من الفقهاء ـ كالنخعي والثوري ـ مَن لم يرَ القتل لازمًا، ورأى أن المرتد يُستتاب أبدًا. وهو مرويٌّ عن الفاروق عمر».

خطر الردة على المجتمع المسلم:

لقد بينَّا في دراستنا: أن أشد ما يواجه المسلم من الأخطار: ما يُهدِّد وجوده المعنوي، أي ما يُهدِّد عقيدته، ولهذا كانت الردة عن الدين ـ الكفر بعد الإسلام ـ أشد الأخطار على المجتمع المسلم. وكان أعظم ما يكيد له أعداؤه: أن يفتنوا أبناءه عن دينهم بالقوة والسلاح، أو بالمكر والحيلة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي عصرنا تعرَّض المجتمع المسلم لغزوات عنيفة، وهجمات شرسة، تهدف إلى اقتلاعه من جذوره، تمثلت في الغزو التنصيري، الذي بدأ مع الاستعمار الغربي، والذي لا يزال يمارس نشاطه في العالَم الإسلامي، وفي الجاليات والأقليات الإسلامية، ومن أهدافه: تنصير المسلمين في العالم، كما وضح ذلك في مؤتمر «كولورادو» الذي عُقد هناك سنة ١٩٧٨م. وقُدِّمت له أربعون دراسة حول الإسلام والمسلمين، وكيفية نشر النصرانية بينهم. ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأسس لذلك معهد «زويمر» لتخريج المتخصِّصين في تنصير المسلمين.

QaradawiBooks.com

كما تمثَّلت في الغزو الشيوعي الذي اجتاح بلادًا إسلامية كاملة في آسيا، وفي أوروبا، وعمل بكل جهد لإماتة الإسلام، وإخراجه من الحياة نهائيًّا، وتنشئة أجيال لا تعرف من الإسلام كثيرًا ولا قليلًا.

وثالثة الأثافي: الغزو العلماني اللاديني، الذي لا يبرح يقوم بمهمته إلى اليوم في قلب ديار الإسلام، يستعلن حينًا، ويستخفي أحيانًا، يطارد الإسلام الحق، ويحتفي بالإسـلام الخرافي، ولعل هذا الغزو هو أخبث تلك الأنواع وأشدها خطرًا.

وواجب المجتمع المسلم لكي يحافظ على بقائه أن يقاوم الرِّدَّة من أي مصدر جاءت، وبأي صورة ظهرت، ولا يدع لها الفرصة، حتى تمتد وتنتشر، كما تنتشر النار في الهشيم.

هذا ما صنعـه أبو بكر والصحابة ﵃ معه، حيـن قاتلوا أهل الردة، الذين اتبعوا الأنبياء الكذبة: مسـيلمة، وسَـجَاح، والأسدي، والعنسي، وغيرهم، وكادوا يقضون على الإسلام في مهده.

ومـن الخطر كل الخطـر: أن يُبتلـى المجتمع المسـلم بالمرتدين المارقين، وتشـيع بين جنباته الرِّدَّة التي ذاعت فـي هذا العصر وغزت أفكار أبنائـه، حتى شـكَّكتهم في شـريعتهم، وعبَّر عنها أحـد الدعاة المرموقين بقوله: «ردة ولا أبا بكر لها»[1]!

ولا بدَّ مـن مقاومة الـرِّدَّة الفردية وحصارها، حتـى لا تتفاقم، ويتطاير شـررها، وتغـدو ردَّة جماعية، فمعظم النار من مسـتصغر الشرر.

(١) عنوان رسالة لطيفة للعلامة أبي الحسن الندوي.

QaradawiBooks.com

إجماع الفقهاء على عقوبة المرتد:

ومن ثَمَّ أجمع فقهاء الإسلام على عقوبة المرتد ـ وإن اختلفوا في تحديدها ـ وجمهورهم على أنها القتل، وهو رأي المذاهب الأربعة، بل الثمانية.

القرآن وعقوبة المرتد:

وأود أن أقرر هنا: أنه ليس صحيحًا أن القرآن خلا من أي آية تشير إلى عقوبة المرتد في الدنيا، وليس فيه إلا قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وهذه الآية في ذاتها تُجرِّم الردة، وتعتبرها موجبة للخلود في النار، وهذا لا يكون إلا في الجرائم الكبرى.

ثم إن من علماء السلف كأبي قلابة وغيره، من قال: إن آية «الحرابة» في سورة المائدة نزلت في شأن المرتدِّين، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣][1].

كما أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]. نزل فيهم.

فالآية تشير بوضوح إلى أن من سنة الله تعالى: ألا يَدَع المرتدين

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٨٠٥).

QaradawiBooks.com

يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يقاومهم أحد، بل من شأنه تعالى أن يهيِّئ لهم قومًا من أهل الإيمان والجهاد ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، يقاومون رِدَّتهم، ويعيدونهم إلى حظيرة الإيمان.

وأما السُّنَّة، فقد وردت فيها جملة أحاديث صحيحة عن عدد من الصحابة: عن ابن عباس، وأبي موسى، ومعاذ، وعلي، وعثمان، وابن مسعود، وعائشة، وأنس، وأبي هريرة، ومعاوية بن حيدة. وقد جاءت بصيغ مختلفة، وليس حديثًا واحدًا كما زعم بعضهم(١).

استتابة المرتد وجوبًا:

على أن الجمهور قالوا بقتل المرتد، فقد ورد عن عمر بن الخطاب ما يخالف ذلك:

روى عبد الرزاق والبيهقي وابن حزم: أن أنسًا عاد من «تُسْتَر» فقدم على عمر، فسأله: ما فعل الستة الرهط من بكر بن وائل، الذين ارتدوا عن الإسلام، فلحقوا بالمشركين؟ قال: يا أمير المؤمنين، قوم ارتدُّوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، قُتلوا بالمعركة. فاسترجع عمر (أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون). قال أنس: وهل كان سبيلهم إلا القتل؟ قال: نعم، كنتُ أعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا أودعتهم السجن(٢).

(١) انظر هذه الأحاديث في رسالتنا: جريمة الردَّة وعقوبة المرتدّ صـ ٣٧ ـ ٤٢، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٩٦)، وابن أبي شيبة في السير (٣٣٤٠٦)، والبيهقي في المرتد (٢٠٦/٨). ومعنى هذا الأثر: أن عمر لم يرَ عقوبة القتل لازمة للمرتد في كلِّ حال، وأنها يمكن أن تسقط أو تؤجَّل إذا قامت ضرورة لإسقاطها أو تأجيلها. والضرورة هنا: حالة الحرب، وقُرب هؤلاء المرتدين من المشركين وخوف الفتنة عليهم، ولعل عمر قاسَ هذا على ما جاء عن النبي ﷺ، في قوله: «**لا تُقطع الأيدي في الغزو**». وذلك خشية أن تدرك السارق الحَميَّة فيلحق بالعدو.

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا الأثر: أن «عمر» لم يرَ عقوبة المرتد القتلَ في كل حال، وأنها يمكن أن تسقط أو تُؤجَّل، إذا قامت ضرورة لإسقاطها أو تأجيلها، والضرورة هنا: حالة الحرب، وقُرب هؤلاء المرتدين من المشركين وخوف الفتنة عليهم. ولعل عمر قاس هذا على ما جاء عن النبي ﷺ في قوله: «**لا تقطع الأيدي في الغزو**»[١]. وذلك خشية أن تدرك السارق الحَمِيَّة فيلحق بالعدو.

وهناك احتمال آخر: وهو أن يكون رأي «عمر» أن النبي ﷺ حين قال: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**». قالها بوصفه إمامًا للأمة، ورئيسًا للدولة، أي: أن هذا قرار من قرارات السلطة التنفيذية، وعمل من أعمال السياسة الشرعية، وليس فتوى وتبليغًا عن الله، تُلزم به الأمة في كل زمان ومكان وحال، فيكون قتل المرتد وكل من بدل دينه، من حق الإمام، ومن اختصاصه وصلاحية سلطته، فقد يرى عقوبته بالسجن، وقد يرى عقوبته بالقتل، فإذا أمر بذلك نُفِّذ، وإلا فلا. على نحو ما قال الحنفية والمالكية في حديث: «**مَن قتل قتيلًا فله سلبه**»[٢]. وما قال الحنفية في حديث: «**مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٦)، وقال مخرجوه: رجال موثقون. والترمذي في الحدود (١٤٥٠)، وقال: غريب. وصححه الألباني في المشكاة (٣٦٠١)، عن بسر بن أرطاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٤٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥١)، عن أبي قتادة. وسلبه: سلاحه وثيابه التي عليه.

(٣) رواه أبو داود في الخراج (٣٠٧٣)، والترمذي في الأحكام (١٣٧٨)، وقال: حسن غريب. وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٧٦٦/٦)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٥١)، عن سعيد بن زيد. وانظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ٢٢٣، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

وهذا هو قول إبراهيم النَّخَعي، وكذلك قال الثوري: هذا الذي نأخذ به[١]. وفي لفظ له: يؤجل ما رُجِيت توبته[٢].

والذي أراه أن العلماء فرّقوا فـي أمر البدعة بين المُغلَّظة والمُخفَّفة، كما فرّقوا فـي المبتدعين بين الداعية وغير الداعيـة، وكذلك يجب أن نُفرِّق في أمر الردَّة بين المُغلَّظة والمُخفَّفة، وفي أمر المرتدين بين الداعية وغير الداعية.

فما كان من الـردَّة مُغلَّظًا، وكان المرتد داعية إلى بدعته بلسـانه أو بقلمه، فالأولى في مثله التغليظ في العقوبة، والأخذ بقول جمهور الأئمة وظاهر الأحاديث، استئصالًا للشرِّ، وسدًّا لباب الفتنة، وإلا فيمكن الأخذ بقول النَّخَعي والثوري، وهو ما رُوِي عن الفاروق عمر.

إن المرتد الداعية إلى الرِّدَّة ليس مجرد كافر بالإسـلام، بل هو حرب عليه وعلى أمته، فهو مُندَرج ضمن الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسـادًا، والمحاربة ـ كما قال ابن تيمية ـ «نوعـان: محاربة باليد، ومحاربة باللسان في باب الدِّين، قد تكون أنكى من المحاربة باليد، ولذلك كان النبي ﷺ يَقتلُ مَن كان يحاربه باللسـان، مع استبقائه بعض مَن حاربه باليد.. وكذلك الإفسـاد قد يكون باليد، وقد يكون باللسـان، وما يفسده اللسـان من الأديان أضعاف ما تُفسـده اليد.. فثبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشدُّ، والسعي في الأرض لفساد الدين باللسان أوْكَد»[٣] اهـ.

(١) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٩٧).

(٢) ذكره ابن تيمية في الصارم المسلول صـ٣٢١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مطبعة السعادة.

(٣) انظر: المصدر السابق صـ ٣٨٥.

QaradawiBooks.com

والقلم أحد اللسانين، كما قال الحكماء، بل ربما كان القلم أشدُّ من اللسان وأنكى، ولا سيما في عصرنا، لإمكان نشر ما يُكتب على نطاق واسع، ويشتد خطر الردة إذا اتَّخذت اتجاهًا جماعيًا، فإنها تصبح مُهدِّدة للأمة في وجودها.

هذا إلى أن المرتد المُصِرّ على ردته محكوم عليه بالإعدام الأدبي من الجماعة المسلمة، فهو محروم من ولائها وحبها ومعاونتها، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا أشد من القتل الحسي عند ذوي العقول والضمائر من الناس.

سر التشديد في عقوبة الردة:

وسر هذا التشديد في مواجهة الرِّدَّة: أن المجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان، فالعقيدة أساس هُويته، ومحور حياته، ورُوح وجوده، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس، أو يمس هذه الهُوية.

ومن هنا كانت «الرِّدَّة المعلنة» كبرى الجرائم في نظر الإسلام؛ لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوي، وخطر على الضرورية الأولى من الضروريات الخمس (الدين والنفس والنسل والعقل المال)، والدين أولها؛ لأن المؤمن يضحِّي بنفسه ووطنه وماله من أجل دينه.

والإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، ولا على الخروج من دينه إلى دين ما؛ لأن الإيمان المُعتد به هو ما كان عن اختيار واقتناع. وقد قال تعالى في القرآن المكي: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وفي القرآن المدني: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

QaradawiBooks.com

ولكنه لا يقبل أن يكون أُلعوبة، يدخل فيه اليوم، ويخرج منه غدًا، على طريقة بعض اليهود الذين قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ولا يعاقب الإسلام بقتل المرتد الذي لا يُجاهر بردَّته، ولا يدعو إليها غيره، ويَدَع عقابه إلى الآخرة إذا مات على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقد يعاقبه عقوبة تعزيرية مناسبة إذا عرفت ردته، بعد أن يبذل جهده في إصلاحه وتقويمه بالتي هي أحسن.

إنما يُعاقَب المرتد المُجاهر، وبخاصة الداعية للرِّدَّة، حماية لهُوية المجتمع، وحفاظًا على أسسه ووحدته، ولا يوجد مجتمع في الدنيا إلا وعنده أساسيات لا يسمح بالنيل منها، مثل: الهُوية والانتماء والولاء، فلا يُقبل أي عمل لتغيير هُوية المجتمع، أو تحويل ولائه لأعدائه، وما شابه ذلك.

ومن أجل هذا: اعتُبرت الخيانة للوطن، وموالاة أعدائه بإلقاء المودة إليهم، وإفشاء الأسرار لهم؛ جريمة كبرى. ولم يقبل أحدٌ بجواز إعطاء المواطن حق تغيير ولائه الوطني لمَن شاء ومتى شاء.

والرِّدَّة ليست مجرد موقف عقلي، بل هي أيضًا تغيير للولاء، وتبديل للهُوية، وتحويل للانتماء. فالمرتدُّ ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أخرى، ومن وطن إلى وطن آخر، أي من دار الإسلام إلى دار أخرى. فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام، التي كان عضوًا في جسدها، وينضم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها، ويعبر عن ذلك الحديث النبوي بقوله:

QaradawiBooks.com

«**التارك لدينه؛ المفارق للجماعة**»(١). فهو وصف كاشف لا منشئ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة.

ومهما يكن من جُرمه، فنحن لا نشق عن قلبه، ولا نتسوَّر عليه بيته، ولا نحاسبه إلا على ما يعلن عنه جهرة: بلسانه أو قلمه أو فعله، مما يكون كفرًا بواحًا صريحًا، لا مجال فيه لتأويل أو احتمال، فأي شك في ذلك يُفسَّر لمصلحة المتهم بالرِّدَّة.

إن التهاون في عقوبة المرتد المعالن الداعية، يُعرِّض المجتمع كله للخطر، ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه، فلا يلبث المرتد أن يُغرِّر بغيره، وخصوصًا الضعفاء والبسطاء من الناس، وتتكوَّن جماعة مناوئة للأمة، تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها، وبذلك تقع في صراع وتمزُّق فكري واجتماعي وسياسي، قد يتطوّر إلى صراع دموي، بل حرب أهلية، تأكل الأخضر واليابس.

وهذا ما حدث بالفعل في أفغانستان: مجموعة محدودة مَرَقوا من دينهم، واعتنقوا العقيدة الشيوعية بعد أن درسوا في روسيا، وجُنّدوا في صفوف الحزب الشيوعي، وفي غفلة من الأمة وثبوا على الحكم، وطفقوا يغيِّرون هُوية المجتمع كله، بما تحت أيديهم من سلطات وإمكانات، ولم يُسلِّم أبناء الشعب الأفغاني لهم، بل قاوموا ثم قاوموا، واتسعت المقاومة، التي كوَّنت الجهاد الأفغاني الباسل، ضد المرتدين الشيوعيين، الذين لم يبالوا أن يستنصروا على أهليهم وقومهم بالروس، يدكُّون وطنهم بالدبابات، ويقذفونه بالطائرات، ويدمرونه بالقنابل والصواريخ، وكانت الحرب الأهلية، التي استمرت عشر سنوات، وكان

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ضحاياها الملايين من القتلى والمعوَّقين والمصابين واليتامى والأرامل والثكالى، والخراب الذي أصاب البلاد، وأهلك الزرع والضرع.

كل هذا لم يكن إلا أثرًا للغفلة عن المرتدين، والتهاون في أمرهم، والسكوت على جريمتهم في أول الأمر، ولو عوقب هؤلاء المارقون الخونة، قبل أن يستفحل أمرهم، لوُقِي الشعب والوطن شرور هذه الحروب الضروس وآثارها المدمِّرة على البلاد والعباد، التي لا تزال أفغانستان المسكينة تلاقي ويلاتها وآثارها إلى اليوم.

كلمة أخيرة:

إن الحرية الدينية الحقيقية مقدَّسة عندنا، وهي من لوازم التدين الحق، كما أنها من دلائل كرامة الإنسان.

ونحن ننادي بتوفير الحرية الدينية، كما نطالب بكل الحريات الأخرى، فالحرية لا تتجزأ، دينية كانت أم سياسية أم فكرية.

نطالب بتوفير الحريات للأقليات المسلمة في العالم كله، وخصوصًا في أوروبا، حتى يستطيع المسلم أن يؤدي شعائره في مسجده بيسر وسهولة، ودون تضييق عليه، ولا ملاحقة، وتستطيع المسلمة أن تلبس خمارها كما تشاء دون حرج عليها، فهو جزء من حريتها الدينية، كما أنه جزء من حريتها الشخصية.

ونطالب بهذه الحرية للمسلمين والمسلمات في داخل بلاد الإسلام، فلا يعتبر المسلم الذي يصلي الصلوات الخمس في المسجد أو يطلق لحيته إرهابيًّا، ولا تُمنع المسلمة من ارتداء الحجاب، وهو فريضة عليها من ربها. فإن فعلت حُرمت من المدرسة أو الجامعة أو الوظيفة!

QaradawiBooks.com

ونطالب بهذه الحرية للمسلمين في أوطانهم الإسلامية ليُمكنَهم الدعوةُ إلى الإسلام كما شرعه الله، بتكامله ووسطيته وشموله: عقيدة وشريعة، حضارة وأمة، دعوة ودولة، دون اعتبار هؤلاء الدعاة أصوليين متطرفين، أو متشددين إرهابيين!

ونطالب بهذه الحرية للمسلمين في ديارهم: ليتمكَّنوا من تحكيم شريعتهم إذا رضيتها الأكثرية مصدرًا للقوانين، وأن من حق كل شعب متدين أن تكون قوانينه وتقاليده وثقافته معبرة عن عقيدته التي يؤمن بها، والتي يأخذ عنها تفسير الوجود، وأهداف الحياة، وفكرته الكلية عن الله والكون والإنسان، وعن الغاية والمبدأ والمصير.

يجب علينا جميعًا أن نتنادى بتوفير هذه الحرية التي نحتاج إليها، كما نحتاج إلى الماء لنرتوي، والهواء لنتنفس، كما نطالب بهذه الحرية لكل ذي دين.

وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعْم الوكيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التعَدُّدِيَّة في نظَرِ الإسلام

وحدانية الخالق:

يقوم التصور الإسلامي للوجود على حقيقتين أساسيتين:

الحقيقة الأولى: هي وحدانية الخالق.

والحقيقة الثانية: هي تعددية الخلق.

غير مرخصة للطباعة

على هذين الأساسين بنى الإسلام تصوُّره وعقيدته وفكرته على هذا الوجود، الله وحده هو الواحد، وما عداه متعدِّد، هو واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، هو الخالق وحده، والمحيي والمميت وحده، وهو المعبود وحده، فلا يستحق العبادة غيره، ولا الاستعانة سواه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

ولهذا كان التوحيد في الإسلام هو جوهر هذا الدين، وهو أساس هذا البناء كله، التوحيد روح الوجود الإسلامي، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وهذه كانت دعوة الأنبياء والمرسلين جميعًا، كل الرسل دعوْا قومهم إلى التوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والطاغوت: كل ما يُعبد ويُعظَّم ويطاع طاعة مطلقة من دون الله، سواء كان من البشر أم من غير البشر.

لقد حرَّر الإسلام البشرية من عبادة غير الله، من عبادة الأشياء أو عبادة الذوات: عبادة الأشخاص، أو عبادة الأفلاك، أو عبادة الحيوان، أو عبادة الإنسان، أو عبادة الهوى والذات، وبكلمة موجزة: تحرير البشر من العبودية لغير الله.

كانت رسالة الأنبياء جميعًا التي تركزت وتجسدت في الدين الخاتم الذي بُعث به محمد ﷺ أن ينعم الناس بظلال الحرية، ويتنسَّموا نسيم الحرية، فقد كان يعبد بعضهم بعضًا، ويُذِل بعضهم بعضًا، ولذلك رفع الإسلام الجباه أن تسجد لغير الله، والظهور أن تطأطئ لغير الله، فلا انحناء إلا لله راكعين، ولا تعفير لجبهة إلا لله ساجدين، وكانت رسائل النبي ﷺ إلى قيصر الروم وغيره من أمراء النصارى تدعوهم إلى هذا التحرر، ويختمها بالآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، هذه هي الحقيقة الأولى.

تعددية الخَلْق:

والحقيقة الثانية بعد وحدانية الخالق ـ وهي المقصودة بالحديث ـ هي: التعددية، التعددية في الخلق، التعددية العرقية، والتعددية اللسانية، والتعددية الدينية، والتعددية الثقافية، والتعددية الحزبية، كل هذه التعدديات شرَّعها الإسلام.

QaradawiBooks.com

أنت لست وحدك في هذا الوجود، لست إلهًا حتى تكون متوحِّدًا لا شريك لك، ولا نِدَّ لك، ولا كفؤ لك، ولا شبيه لك، لا، هناك آخرون يشاركونك، وينبغي أن يفهم الناس هذه الحقيقة، أن هناك تعدُّدًا.

هناك تعدُّد في الأجناس والعناصر، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، خلقناكم من ذكر وأنثى، كلكم أبناء آدم وحواء، وكلكم أبناء رجل وامرأة، وجعلناكم شعوبًا وقبائل، هذا الشعب العربي، وهذا الشعب التركي، وهذا الشعب الهندي، وهذا الشعب الأفغاني، وهذا الشعب الفارسي، شعوبًا وقبائل لتعارفوا، لتتفاهموا، لتتعاونوا، لا تتناكروا، ولا تتصادموا، ولا تتعادوا، هكذا خلق الله البشر عروقًا وأجناسًا، كلها تنتمي لأب واحد هو آدم، وتنتمي لرب واحد هو الذي خلقها وسوّاها، هو الله ﷻ، وهذا ما عرَّفه النبي ﷺ للألوف المؤلفة في حجة الوداع حينما قال: «**أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب**»(١).

لا بدَّ أن يعترف الناس بأن هناك عروقًا وأجناسًا مختلفة، وليس لجنس سيادة على جنس؛ كما يدَّعي اليهود: أن الجنس الإسرائيلي هو شعب الله المختار، وعليه أن يسود العالم.

أو كما اعتقد فلاسفة اليونان: أن الناس يتفاوتون بحكم الخِلْقة، فمنهم شعب خُلِق ليسود ويقود ويَحْكُم، وشعوب أخرى خُلِقَت لتُقاد وتُساق وتُحكم، هناك سادة، وهناك عبيد.

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٥٦٢٢): رواه أحمد رجاله رجال الصحيح. عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

أو كما اعتقد الآريون الأوروبيون في وقت من الأوقات ـ مثل هتلر وغيره ـ أن الجنس الآري هو سيد الأجناس، لا بدّ أن يحكم العالم!

أو كما اعتقد رينان وغيره من الفلاسفة المُحْدَثين: أن الأجناس تتفاضل، فهناك جنس أفضل من جنس، وعِرْق خير من عِرْق.

لا، فهذه المقولات مرفوضة في نظر الإسلام. إن الإسلام يقول: الناس سواسية كأسنان المُشط، متساوون في العبودية لله، والبنوّة لآدم. إنما يتفاوت الناس بالعلم والعمل والإحسان ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، الناس تتفاوت بعلمها، وبأعمالها، وبتقواها، وبفضائلها، وبما تقدمه للناس من خيرات وصالحات.

الأجناس كلها متساوية، ويجب أن يسع بعضها بعضًا، لا يحاول جنس أن يطغى على جنس، فضلًا عن أن يُبيد جنس جنسًا آخر، كما رأينا الأوروبيِّين عندما ذهبوا إلى أمريكا أرادوا، بل سعوا إلى إبادة الجنس الأصلي الذي يسكن البلاد «الهنود الحمر»، وقامت مذابح إبادة هائلة.

وكذلك عندما دخلوا أستراليا: أعملوا سيف الإبادة في أهلها الأصليين! وحينما دخلوا بلادًا شتى حاولوا أن يبيدوا عناصر أخرى وأجناسًا أخرى!

ليس من حق جنس أن يحكم على جنس بالإبادة، هذا خلق الله، لهم حق في الاستخلاف في هذه الأرض وعمارتها، كما لكم حقوق في العيش عليها.

QaradawiBooks.com

بل إن رسول الإسلام ليعلن هذه الحقيقة الكبيرة: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرتُ بقتلها**»[1]. حتى أمم الحيوان لا ينبغي أن تُباد، وإن كانت تؤذي الإنسان أحيانًا، والرسول هنا يشير إلى الحقيقة القرآنية التي سجلها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

التعددية اللسانية واللغوية:

هناك التعددية العرقية، وهي حقيقة من الحقائق. وهناك التعددية اللسانية: أن الله خلق الناس تختلف ألسنتهم ولغاتهم، بموجب عوامل شتى. القرآن يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، هذا يتكلم بالعربية، وهذا بالفارسية، وهذا بالهندية، والهندية فيها مئات اللغات، وهذا يتكلم بالتركية، أو السواحلية، وهذا بالإنجليزية، وهذا بالفرنسية.. إلخ. فالناس يتكلمون بلغاتهم، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، حتى الرسالة العالمية رسالة الإسلام ورسالة القرآن، جاءت بلسان عربي مبين، كيف نبلِّغها إلى العالم؟ نترجم إلى العالم مضامين هذه الرسالة حتى يعرفوها.

ولكن لا بدّ أن نعترف أن هناك لغات شتى، وألسنة شتى مختلفة، يتحدث بها الناس، وهذه آية من آيات الله عز وجل، هناك تعددية لسانية ولغوية، ولا ينبغي لأحد أن يضيق بلغة غيره، أو يحاول أن يُضيِّق عليها، أو يتعصَّب ضدها، أو يفرض على أهلها بالقوة ترك لغتهم.

---

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٢٢)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

التعددية الدينية:

وهناك تعددية دينية، فإن الله ﷻ خلق النـــاس مختلفين، خلق لكلٍّ منهم عقلًا يفكـــر به، ومنحه الإرادة ليرجح بهـــا، ومنحه مَلَكات وقوًى ومواهب مختلفة، على أساســها اختار الناس لأنفسهم، ولو شاء الله أن يجعل الناس كلهم مؤمنين به؛ لفطرهم على التوحيد والإيمان كما فطر الملائكة، ولكن الله خلق مـــن خلقه خلقًا مفطورين علـــى عبادته: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وهؤلاء هم الملائكة.

وخلق من خلقه نوعًا ميَّـزه بالإرادة والاختيار، هـــو الذي يقرر مصير نفسه، ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٢]، أعطاه المشـيئة والإرادة والاختيار والقدرة، ليقرر مصيـره، هذا النوع هو الإنسان، لم يشأ الله أن يجبره على دين واحد، وعلى الإيمان به، بل ترك له الحرية، أعطاه الأدوات التي يفكر بها، وبعث له الرسل، وأنزل له الكتب، لتُعاونه في اختيار الطريق، ولكنه ترك له الحرية، هكذا خلق الله الناس ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]. قال كثير من المفسـرين: (لذلـك) أي للاختلاف (خلقهم)[1]؛ لأنه خلقهم متغايرين في الفكر والإرادة، فلا بدّ أن يتغايروا في الدين الذي يختارونــه، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٣٥/١٥)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، والقرطبي (١١٥/٩)، وابن كثير (٣٦٣/٤).

QaradawiBooks.com

تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وهذا استفهام إنكاريّ، معناه: أنه لا يجوز أن يُكره الناس على شيء، ولو كان هو الإيمان، فمن عهد سيدنا نوح قال لقومه: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. أنلزمكم الهداية رغم أنوفكم؟ لا، أنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم.

خلق الله الناس مختلفين، فلا عجب أن يكونوا على أديان مختلفة، ولهذا يجب أن يسع أهل الأديان بعضهم بعضًا، ولا يُجبر أناس على أن يتركوا دينهم ليعتنقوا دينًا آخر، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولذلك ينبغي أن نسع المخالفين، لا يجوز لنا أن نقهرهم على أن يتبعوا ديننا. وكما لا نجيز لأحد أن يقهرنا على ترك ديننا، أو يمنعنا من طاعة ربنا، لا يجوز لنا أن نتدخل في دين أحد، أو نضطهده ونؤذيه حتى نُكرِهه على تغيير دينه. فهذه هي «الفتنة» التي اعتبرها القرآن ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ و﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، وأمر بالقتال لمنعها: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

هذه التعددية الدينية هي التي قرّرها الإسلام منذ العهد المكي والعهد المدني، هناك سورة جمعت بين أمرين قد يظنهما بعض الناس متناقضَيْن: الاعتزاز بالدين إلى أقصى حدّ، والتسامح في الدين مع المخالف إلى أقصى حدّ، هذه السورة هي سورة (الكافرون)، السورة الوحيدة التي خاطب الله فيها الكافرين بعنوان الكافرين، فالله ﷻ يخاطب الكافرين عادة بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ولكن قال في هذه السورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

كان المشركون يساومون النبي ﷺ ويفاوضونه، يريدون أن يعبد

QaradawiBooks.com

آلهتهم سنة، ويعبدون إلهه سنة[1]، أي: ليجرب كل منا دين الآخر! هذه المساومات أراد القرآن أن يقطعها بقرار حاسم، فهذا أمر مرفوض، ولذلك قال: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٢ ـ ٥]، هذا التكرار والتأكيد مقصود، لتثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين على دينهم والتشبُّث به، والاعتزاز به إلى آخر مدى. وفي آخر السورة يأتي هذا التسامح العجيب: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، الحياة تتسع لي ولكم، وإن اختلفت أدياننا. لكن المشركين المتعصِّبين قالوا له: لنا ديننا، وليس لك دينك! وهذا هو التعصب بعينه، أن تُثبت نفسك، وتنفي من عداك.

ولذلك خطَّأتُ بعض الإخوة الذين يقولون: لا دين غير الإسلام[2]، مستدلِّين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، لا مانع أن تعتقد أن دينك هو الحق، فكل مؤمن بدين يعتقد أن دينه وحده هو الحق، ولا ملام على ذلك.

ومع هذا نقول: هناك أديان أخرى، يؤمن بها أصحابها، حتى دين المشركين الوثنيين، فالله قال لهم على لسان رسوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، كذلك أهل الكتاب لهم دينهم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ [المائدة: ٧٧].

هناك أديان أخرى وسعها الإسلام، وعاشت في ظلال الإسلام قرونًا: عاشت النصرانية، وعاشت اليهودية، وعاشت المجوسية، وعاشت

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (٧٥١)، وحسَّنه الألباني في صحيح السيرة صـ ٢٠٥ ـ ٢٠٧، عن ابن عباس.

(٢) راجع ما ذكرته في كتابي: الدين والسياسة صـ٢٣، تحت عنوان: كلمة الدين لا تقتصر على الدين الحق، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

الهندوسية، وغيرها من الديانات. والمسلمون كانوا هم سادة العالم، ولهم القوة الأولى في الدنيا، وكانوا يستطيعون أن يفرضوا عليهم دينهم، وأن يقهروهم على الإسلام، لكن لم يحدث ذلك أبدًا؛ لأن الإسلام لا يقبل إيمانًا فيه شائبة إكراه، الإيمان لا بدَّ أن يكون اختياريًّا حرًّا محضًا، ولذلك لم يجبر غير المسلمين في وقت من الأوقات على دخول هذا الدين، وهذا ما قرره المستشرقون الغربيون أنفسهم مثل: توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» الذي قال: لم يحدث في تاريخ المسلمين أن جماعة أُجْبِرت على أن تدخل في الإسلام إكراهًا أبدًا.

كان هؤلاء يعيشون في كنف المسلمين كأهل ذمة، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، لهم كنائسهم، ولهم صلبانهم، ولهم نواقيسهم، ولهم أزياؤهم، ما أُجبر أحد على أن يُغيِّر زيه ليكون مثل المسلمين، بالعكس قيل: إنهم أُمروا أن يلزموا زيهم ولا يغيروه، وحتى هذا غير ثابت(١). فالإنسان له حرية الاختيار، ما دمتَ تركتَ له دينه، فمن حقه أن يعيش بدينه، وأن يقيم شعائره، وأن يؤدِّي واجباته.

بل من عجائب التسامح الإسلامي: أنه لا يجبر الإنسان على أن يترك مباحًا له في دينه وهو محرم عند المسلمين، ليجامل المسلمين بتركه، لم يجبره على أن يترك أكل الخنزير أو شرب الخمر، وسمح للنصارى في بلاده أن يعيشوا فيها وهم يشربون الخمر، ويربُّون الخنازير، ويأكلون لحومها، وهو أمر مباح في دينهم، وليس واجبًا عليهم! حتى إن من أراق خمرًا لذميٍّ، يغرَّم قيمتها، كما يرى الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وهي في نظر المسلمين جميعًا: أم الخبائث، ورجس من عمل الشيطان!

---

(١) رددنا على هذا القول في كتابنا: نحن والغرب، أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة صـ ٣٠ وما بعدها، نشر دار النشر والتوزيع الإسلامية؛ القاهرة ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

هذا هو التسامح الحقيقي، التعددية الدينية تحتاج إلى التسامح.

كيف يتسامح الإنسان وهو يعتقد أن دينه هو الحق، وأن غيره هو الباطل، وأن ﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، من كان يعتقد هذا كيف يتسامح مع غيره؟! هذا ما يحتاج إلى بيان، فقد يلتبس على كثيرين.

مفاهيم تعين المسلم على التسامح:

من روائع ما جاء في الإسلام: أن المسلم برغم اعتزازه بإسلامه ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، رغم اعتزازه بالإسلام، ومباهاته بالإسلام، ومغالاته بالاعتزاز بهذا الدين، رغم هذا، فقد غرس فيه الإسلام من العقائد والمفاهيم والأفكار ما يجعله يتعايش بتسامح منقطع النظير مع المخالفين له.

الاختلاف واقع بمشيئة الله:

أول هذه المفاهيم الأساسية: أنه علَّمه أن اختلاف الناس واقع بمشيئة الله ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ [التغابن: ٢]، هكذا خلق الله الناس، وأن هذا بمشيئة الله، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [هود: ١١٨]، وما دام هذا من مشيئة الله التي لا تنفصل عن حكمته، فلا يُعقل أن يقاوم الإنسان مشيئة الله؛ لأن مشيئة الله هي النافذة، وهي الغالبة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ولهذا استراح المؤمن حين أيقن: أن هذا هو ما يشاؤه الله، هل سنُعَدِّل على الله خلقه أو كوْنه، وقد خلقه هكذا، وهو الذي أحسن كل شيء خلقه؟!

QaradawiBooks.com

حساب الناس موكول إلى الله وحده:

الأمر الثاني: أن الناس إذا اختلفوا، آمنوا أو كفروا، اهتدوا أو ضلوا، صلحوا أو فسدوا، ليس حسابهم في هذه الدار، وإنما هناك دار أخرى للحساب والجزاء، والذي يتولَّى الحساب والجزاء فيها هو: الله عز وجل، وهذا يطمئننا، فإن الذي يجزي الجميع رب عادل لا يظلم أحدًا. يقول القرآن: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

احترام آدمية الإنسان:

الأمر الثالث: أن الإسلام يُكَرِّم الإنسان من حيث هو إنسان، فالإنسان من حيث آدميته مُكَرَّم في هذا الدين: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠]، فأسبغ على الإنسان نِعَمه ظاهرة وباطنة، وجعله خليفة في الأرض، فالإنسان هو زبدة هذا الوجود، وهو الذي كرَّمه الله عز وجل بغض النظر عن لون عينيه، أو نعومة شعره أو جعودته، أو كون لونه أبيض أو أسود، أو شكل أنفه كيف هو.

الإنسان مُكَرَّم عند الله من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لونه أو عِرقه أو طبقته، بل عن دينه. روى الشيخان في «صحيحيهما»: أن

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ مرَّت به جنازة، فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! ـ قالـوا ذلك متعجبين مـن قيامه واحترامه لها، وهي ليست لمسلم! ـ فقال ﷺ: «**أليست نفسًـا؟!**»[1]. أليست نفسًا بشرية؟ فما أروع الموقف! وما أروع التعليق!

النفس البشرية مُكرَّمة معصومة في الإسلام ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

هذا هو الأمر الثالث الذي يمحو به الإسـلام التعصب من نفسـية المسلم، ويغرس فيها التسامح والأفق الواسع.

الإنصاف والعدل مع الجميع:

الأمر الرابع: أن الإسـلام يأمـر بالعدل مع النـاس جميعًا، مع من تحب، ومع من تكره، مـع القريب والبعيد، مع الصديـق والعدو، مع المسلم والكافر، مع المسالم والمحارب، العدل للناس جميعًا، هذا هو عدل الله لكل عباد الله، وهذا ما ينبغي أن يراعيه المسلم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، هذا عدل مع من تحب.

ويقول في الآية الأخـرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]، لا يحملنكم شنآنهم يعني: شدة بغضهم لكم، أو شدة بغضكم لهم، لا يحملنكم هذا على ألا تعدلـوا، ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٨]، هذا هو العدل مع من نكره. إنه العدل مع الجميع.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسـلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

ولما حاول اليهود أن يَرْشـوا سـيدنا عبد الله بن رواحة، وهو يُقَدِّر ما يجب عليهم في النخيل.

كانوا قد عاملهـم النبي ﷺ على أن يزرعـوا الأرض، ويعطوا النبي النصف ولهم النصف، وكانت طريقتهم: خَرْص النخيل، يعني: تقدير ثمر النخيل تقديـرًا تقريبيًا، بالتقريب كم تحمل النخلة، وكان الرسـول ﷺ يترك لهم الحرية في الأكل من النخيل، أو التصرف فيه بعد الخَرْص(١).

وَوَكَل النبي ﷺ أمر هذا التقدير للخبـراء، وكان من هؤلاء الخبراء: سيدنا عبد الله بن رواحة، فأراد اليهود ـ على طريقتهم ـ أن يَرْشوه حتى يقلل ما يجب عليهم من ثمر النخيل، فقال لهم: يا أعداء الله، ترشونني! والله لأنتم أبغض إليَّ من القردة والخنازير، ولرسـول الله أحبّ إليَّ من نفسـي، ولكني والله لا أحيف عليكم مثقال ذرة! فقالوا: هذا هو العدل الذي قامت به السماوات والأرض!

العدل مع النـاس جميعًا، بهذا غرس الإسـلام روح التسـامح مع المخالفين، فلا يضيق المسـلم بمن يخالفه، يعاملهـم بالعدل والرحمة والقسطاس المستقيم، ويعلم أن الأرض تسعه وتسعهم.

التعددية الثقافية:

هذه هي التعددية الدينيـة، والتعددية الدينية يترتَّـب عليها تعددية أخرى، هي التعدديـة الثقافية: فما دام الناس يتعـددون دينيًّا، فلا بد أن يتعددوا ثقافيًّا.

---

(١) رواه أحمد (١٤٩٥٣)، وقال مخرجوه: إسناده قوي على شرط مسـلم. وأبو داود في البيوع (٣٤١٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠٩٥)، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٥٩)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

هناك من الناحية الثقافية ما يتصــل بالحياة ومفاهيمها وتقاليدها، وعادات الناس فيها، الناس تختلف في هذه الأمور كلها: يختلفون في ملابســهم، ومآكلهم، ومشــاربهم، ومســاكنهم، لكل جماعة طريقة اتخذتها، ناس تأكل أشياء، وناس ترى هذه الأشياء سيئة جدًّا لا تؤكل، ناس تبني بيوتها بطريقة، وناس تبني بطريقة أخرى، ناس تتكلم بلغة وتكتبها بطريقة، والآخرون يكتبون بطريقــة أخرى، هناك من يكتب اللغة بطريقة الخطوط، والحروف عبارة عن خطوط، وناس تكتبها في خطوط ونقط فوقها وتحتها كما هو شــأن العربية. وناس تكتب اللغة بالصــور يعنــي حروفها عبارة عــن صور مثــل: اليابانيــة والصينية والكورية. وناس تكتب مــن اليمين إلى الشــمال. وناس تكتب من الشــمال إلى اليمين. وناس تكتب من فوق إلى أســفل كتابة رأسية. الناس يختلفون في هذه الأمور.

والإسلام قدَّر هذا الاختلاف في ثقافة الناس، ووسع هؤلاء جميعًا، وكان في الحضارة الإســلامية، وفي الديار الإسلامية أناس من كل هذه الأنواع، لم يفرض على الناس لونًا معينًا من المآكل أو المشارب، تريد أن تــأكل بطريقة معينة، كُلْ كما شــئت، تلبس لباسًــا معينًا، البس كما شــئت، ما فرض على الناس شــيئًا من التقاليد يجب أن يفعلوه مجاراة للمسلمين، حتى لا يتميزوا عن المسلمين.

الناس لهم الحريــة في ثقافتهم وتقاليدهــم وأعرافهم وعاداتهم، لم يتدخَّل المسلمون في هذا الأمر، إلا ما تعلَّق بالعقائد والقيم، وخصوصًا بالنسبة للمســلمين. فلا يبيح التبرُّج ولا الخلاعة ولا السلوك الذي يثير الشهوات.

QaradawiBooks.com

تنوُّع الثقافات تُثري به الحضارة:

والحضارة الإسلامية شاركت فيها أنواع عدَّة من العناصر والأجناس والأديان المختلفة، وكل له ثقافته، وكل تــرك له «بصمة» في ناحية من النواحي، وهذا من التنوُّع، فالتنوُّع فيه إثراء وغنًى للحضارات، الحضارة التي تقوم على شكل واحد، ولون واحد، وصورة واحدة، هذه الحضارة فقيرة، الحضارة الغنية الخصبة: هي التي تأخذ من الجميع، وتستفيد من الجميع، وتقتبس من الجميع، وهذا هو التنوُّع.

والتنوُّع ظاهرة كونية، أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، العلماء هم الذين يعرفون أسرار الله في الكون، ويعرفون أسرار اختلاف الألوان، التنوُّع يعبِّر عنه القرآن باختلاف الألوان، أي اختلاف الأنواع والأصناف، وبهذا تثري الحياة وتزدهر، وهذا موقفنا نحن المسلمين: لا نفرض على الناس لونًا واحدًا، ونحاول أن نبيد الألوان الأخرى، وهذه هي التعدُّدية الثقافية.

التعدُّدية السياسية والحزبية:

وهناك التعددية الحزبية، التي يتحدَّثون عنها في الفكر السياسي والعلوم السياسية، وهو: أن الدولة لا بدَّ أن تسمح بتعدد الأحزاب والجماعات السياسية، ولو كانت معارضة للنظام الحاكم. وهذا ما يتغنَّون به في النظام الديمقراطي، ويقولون: النظام الديمقراطي هو الذي يسمح بالتعددية السياسية والتعددية الحزبية. وهذا ما جاء به الإسلام من قديم، وترك للناس أن يعبِّروا عن آرائهم، وأن يخالفوا الحاكم، سواء كان المخالفون أفرادًا أم جماعات.

QaradawiBooks.com

معارضة الأفراد للحاكم:

يقول سيدنا أبو بكر الصديق خليفة المسلمين الأول: إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم[1].

وعمر بن الخطاب يقول: من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني. فقام بعض الناس وقال: لو رأينا فيك اعوجاجًا يا ابن الخطاب لقوَّمناه بحدِّ سيوفنا! لم يقُل عمر: اقبضوا على هذا الرجل الإرهابي، ضعوه في السجون! أو ابحثوا عن مصدر السيوف التي يريد أن يقاومني بها! لم يقل هذا. بل قال: الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوِّم اعوجاج عمر بحدِّ سيفه[2]!

معارضة الأحزاب للحاكم:

وعلي بن أبي طالب كان يعارضه حزب، ولم يكن مجرد أفراد يعارضونه، بل هو في الواقع: حزب له مبادئه وأفكاره ومنطلقاته، وله قيادته، كان يسمَّى «حزب الخوارج»، وهو حزب قوي مسلح، وقامت بينه وبينهم معارك انتصر فيها عليهم، هذا الحزب له مبادئه في تكفير مرتكب الكبيرة، وفي معارضة الحكام، وغير ذلك.

وحينما أراد عليٌّ رضي الله عنه أن يحاربهم عندما قاوموه مقاومة مسلحة، أرسل إليهم قبل ذلك عبد الله بن عباس، ليناقشهم ويجادلهم ويحاجَّهم بالمنطق القرآني والمنطق الإسلامي، وقد حاجَّهم فحجَّهم وغلبهم،

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، وذكره وصحح إسناده عن أنس ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) ذكره علي بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق: محمد محمد تامر، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه بدون ذكر السيف.

QaradawiBooks.com

ورجع منهم عدة آلاف، وبقي الآخرون مصرِّين على رأيهم، هؤلاء قالوا لعلي بن أبـي طالب: لا حكـم إلا لله. يريدون: أنه خـرج عن المبادئ الشرعية، حينما حكَّم الرجال في دين الله، في قضية التحكيم المعروفة، فرد عليهم قائلًا: كلمة حق يراد بها باطل. أي: صحيح أن الحكم لله، أي: التشريع الأعلى لله، ولكن ليس معنى هذا ألا يختار الناس في شؤونهم من يُحكِّمونهم في المنازعات، إن الله تعالى شرع «التحكيم» في نزاعات أقل من هذا شـأنًا، فقد حكَّم في الأسرة فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، وفي شـؤون الصيد في حالة الحج والإحرام: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

ثم قال لهم علي بن أبي طالب: لكم علينا ثلاث:

١ ـ ألا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها معنا.

٢ ـ وأن نعطيكم حقَّكم في الفيء والغنيمة، إذا كانت سـيوفكم مع سيوفنا.

٣ ـ وألا نبدَأَكم بقتال. أي: ما دمتم مُغمِدين سـيوفكم في جراباتها وأغمادها لا نبدؤكم بقتال(١).

أرأيتم توسـعة أكثر من هذه؟ حزب معارض وأفراده مسلحون ـ لأن الناس في ذلك الزمن بطبيعة الحال كان كلٌّ معه سـلاحه ـ ويسمح لهم بالوجود والنشاط والمشاركة في الحياة العامة، ما دام مسالمًا للمجتمع، ولهذا قال لهم: لن نبدأكم بقتال، ما دمتم لا تُشهرون سيفًا على إخوانكم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٨٥)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

QaradawiBooks.com

تصوُّر غير صحيح للدولة الإسلامية:

ربما يتصوَّر بعض المخلصين أن الدولة التي تحكم بشرع الله، وترجع في كل أمورها إلى حكمه، لا تحتاج إلى كل هذا، فهي دولة ملتزمة وقَّافة عند حدود الله تعالى.

فعلى العاملين أن يجاهدوا حتى تقوم هذه الدولة المنشودة: فإذا قامت كانت كما وصفها الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

وحينئذ عليهم أن يسلموا لها الزمام، وأن يمنحوها كامل الولاء والطاعة والتأييد.

وأحب أن أقول لهؤلاء: إن «الدولة الإسلامية» ليست هي «الدولة الدينية»، التي عُرفت في مجتمعات أخرى، أعني: أنها دولة مدنية تحتكم إلى الشريعة، رئيسها ليس «إمامًا معصومًا»، وأعضاؤها ليسوا «كهنة مقدسين»، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ويحسنون ويسيئون، ويطيعون ويعصون، وعلى الناس أن يعينوهم إذا أحسنوا، ويقوِّموهم إذا أساؤوا، ويرفضوا أمرهم إذا أمروا بمعصية، كما قال أبو بكر رضي الله عنه في خطابه الأول، بل كما قال النبي ﷺ: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(١).

وإذا انتفت العصمة والقداسة فكل الناس بشر، لا يُؤمَن أن تغرَّهم الحياة الدنيا، ويغرهم بالله الغرور، فيستبدُّوا ويظلموا، وأشد أنواع

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الاستبداد خطرًا ما كان باسم الدين، فإذا لم توضع الضوابط، وتُهيَّأ السبل لمنعه من الوقوع، وإزالته إذا وقع، حاق الضرر بالأمة، وأصاب شرره الدين أيضًا.

ولهذا كان إيجاد قوًى منظمة تعمل في وضح النهار، وتقدر على أن تُعين المحسن وتقوِّم المسيء، أمرًا يرحب به الشرع ويؤيِّده، لما وراءه من جلب المصالح ودرء المفاسد.

وأكبر الخطأ أن تظن الدولة، أو يظن الموالين لها: أن الحق معها وحدها، والصواب دائمًا في جانبها، وأن من خالفها فهو على خطأ، بل على باطل.

ولقد رأينا المعتزلة حين استقلُّوا بالحكم، وانفردوا بالسلطان في عهد الخليفة المأمون بن الرشيد، وفي عهدَيْ الواثق والمعتصم من بعده، أرادوا أن يفرضوا رأيهم على الكافَّة، وأن يمحوا الرأي الآخر من خريطة الفكر، وقاوموا بالسوط والسيف رأي الفئات الأخرى، التي لا ترى رأيهم في القضية الكبرى التي أثاروها، والمعروفة في تاريخ العقيدة والفكر باسم قضية «خلق القرآن».

وكانت محنة عنيفة شديدة العنف، أوذي فيها رجال كبار، وأئمة عظام، على رأسهم الإمام التقي الورع أحمد بن حنبل.

وسجَّل التاريخ على القوم الذين زعموا أنهم أهل العقل وأحرار الفكر، هذه الجريمة المخزية التي يندى لها الجبين، وهي: جريمة اضطهاد المعارضين في الرأي، إلى حد السجن والضرب والتعذيب، ولو كانوا من كبار العلماء، وأئمة الدين!

QaradawiBooks.com

تعدُّد الأحزاب كتعدُّد المذاهب في الفقه:

وعندما نجيز مبدأ التعدُّد الحزبي داخل الدولة الإسلامية، فليس معناه أن تعدُّد الأحزاب والتجمعات بتعدُّد أشخاص معينين، يختلفون على أغراض ذاتية، أو مصالح شخصية، فهذا حزب فلان، وذاك حزب علان، وآخر حزب هيان بن بيان. جمعوا الناس على ذواتهم، وأداروهم في أفلاكهم.

ومثل ذلك: التعدُّد المبني على أساس عنصري، أو إقليمي، أو طبقي، أو غير ذلك من إفرازات العصبية، التي يبرأ منها الإسلام.

إنما التعدُّد المشروع هو تعدُّد الأفكار والمناهج والسياسات، يطرحها كل فريق مؤيدة بالحجج والأسانيد، فيناصرها من يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها.

وتعدُّد الأحزاب في مجال السياسة أشبه شيء بتعدُّد المذاهب في مجال الفقه.

إن المذهب الفقهي هو مدرسة فكرية لها أصولها الخاصة في فهم الشريعة، والاستنباط من أدلتها التفصيلية في ضوئها، وأتباع المذهب هم في الأصل تلاميذ في هذه المدرسة، يؤمنون بأنها أدنى إلى الصواب من غيرها، وأهدى سبيلًا، فهم أشبه بحزب فكري التقى أصحابه على هذه الأصول، ونصروها بحكم اعتقادهم أنها أرجح وأولى، وإن كان ذلك لا يعني بطلان ما عداها.

ومثل ذلك الحزب، إنه مذهب في السياسة، له فلسفته وأصوله ومناهجه المستمدَّة أساسًا من الإسلام الرحب، وأعضاء الحزب أشبه بأتباع المذهب الفقهي، كل يؤيد ما يراه أولى بالصواب، وأحق بالترجيح.

QaradawiBooks.com

قد تلتقي مجموعة من الناس على أن الشورى ملزمة، وأن الخليفة أو رئيس الدولة يُنتخب انتخابًا عامًّا، وأن مدة رئاسته محددة، ثم يُعاد انتخابه مرة أخرى، وأن أهل الشورى هم الذين يرضاهم الناس عن طريق الانتخاب، وأن للمرأة حق الانتخاب وحق الترشح للمجلس، وأن للدولة حق التدخل لتسعير السلع، وإيجار الأرض والعقار، وأجور العاملين، وأرباح التجار، وأن الأرض تُستغلُّ بطريق المزارعة لا بطريق المؤاجرة، وأن في المال حقوقًا سوى الزكاة، وأن الأصل في العلاقات الخارجية السلم، وأن أهل الذمة يُعفَوْن من الجزية إذا أدَّوا الخدمة العسكرية، وهي ما يقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلم.. إلخ. بل يرون إدخال المسيحيين معهم في الحزب، على أساس أن ما يدعو إليه من مبادئ وأفكار وقيم: هي للجميع مسلمين وغير مسلمين، بل لا يرى هؤلاء بأسًا أن ينشئ المسيحيون حزبًا لهم يقدِّمون فيه رؤاهم وأفكارهم وحلولهم لمشكلات الحياة على أساس من دينهم.

وقد تلتقي مجموعة أخرى من «المحافظين» يعارضون أولئك «المجدِّدين» ـ أو أدعياء التجديد في نظرهم ـ فيرون الشورى مُعْلِمة لا ملزمة، وأن رئيس الدولة يختاره أهل الحل والعقد، ويُختار مدى الحياة، وأن الانتخاب ليس وسيلة شرعية! والمرأة ليس لها حق الترشيح ولا حق التصويت، وأن الاقتصاد حر، والملكية مطلقة، وأن الأصل في العلاقات الخارجية هو الحرب، وأن الخليفة أو الرئيس هو صاحب الحق في إعلان الحرب أو قبول السلم، وغير ذلك من الأفكار والمفاهيم التي تشمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية وغيرها.

وقد توجد مجموعة أخرى، لا هي مع هؤلاء، ولا مع أولئك، بل توافق هؤلاء في أشياء وأولئك في أشياء.

QaradawiBooks.com

فإذا انتصرت فئة من هذه الفئات، وأصبحت مقاليد السلطة بيدها، فهل تُلغي الفئات الأخرى من الوجود، وتُهيل على أفكارها التراب، لمجرد أنها صاحبة السلطان؟

هل الاستيلاء على السلطة هو الذي يعطي الأفكار حق البقاء؟ والحرمان من السلطة يقضي عليها بالفناء؟

إن النظر الصحيح يقول: لا، فمن حق كل فكرة أن تعبِّر عن نفسها ما دام معها اعتبار وجيه يسندها، ولها أنصار يؤيِّدونها.

أما ما ننكره في ميدان السياسة، فهو ما ننكره في ميدان الفقه: التقليد الغبي، والعصبية العمياء، وإضفاء القداسة على بعض الزعامات كأنهم أنبياء، وهذا هو منبع الوبال والخبال.

التعدُّد والاختلاف:

ومن الشبهات التي أثيرت هنا: أن مبدأ «التعدُّد» أو «التعدُّدية» ـ كما هو المصطلح السائد ـ يتنافى مع الوحدة التي يفرضها الإسلام، ويعتبرها صنو الإيمان، كما يعتبر الاختلاف أو التفرق أخًا للكفر والجاهلية.

وقد قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وفي الحديث: «**لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١).

وأودُّ أن أنبِّه هنا على حقيقة مهمة، وهي أن التعدُّد لا يعني بالضرورة التفرُّق، كما أن بعض الاختلاف ليس ممقوتًا، مثل الاختلاف

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

في الرأي نتيجة الاختـلاف في الاجتهاد، ولهـذا اختلف الصحابة في مسـائل فرعية كثيرة، ولم يضرهم ذلك شـيئًا.. بـل اختلفوا في عصر النبي ﷺ في بعض القضايا؛ مثل اختلافهم في صلاة العصر في طريقهم إلى بني قريظة.. وهي قضية مشـهورة، ولم يوجِّه الرسول الكريم لومًا إلى أي من الفريقين المختلفين.

وقد اعتبر بعضهـم هذا النوع من الاختلاف من بـاب الرحمة التي وسَّع بها على الأمة، وفيها ورد الأثر: «اختلاف أمتي رحمة»(١). وفيه أُلف كتاب «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة»(٢).

ونقلوا عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز(٣) أنه لم يكن يودُّ أن الصحابة لم يختلفوا؛ لأن اختلافهم فتح باب السَّـعة والمرونة واليُسـر للأمة، بتعدُّد المشارب، وتنوُّع المنازع.

وبعضهم جعل اختـلاف الرحمة يتمثل فـي اختلاف النـاس في علومهم وصناعاتهم، وبذلك تُسـدُّ الثغـرات، وتُلبَّى الحاجـات المتعـدِّدة والمتنوِّعة للجماعات.

---

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٦: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقًا، وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ: «اختلاف أصحابي لكم رحمة». وإسناده ضعيف. وقال السـبكي فيما نقله عنـه المناوي في فيـض القدير (٢٠٩/١): وليـس بمعروف عند المحدثين ولم أقف له على سـند صحيح ولا ضعيف ولا موضـوع. وانظر: كلامنا على الحديث في كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٤٩، تحت عنوان: الاختلاف رحمة.

(٢) لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشـقي العثماني الشـافعي، وهو من علماء القرن الثامن الهجري.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٦٨٩).

QaradawiBooks.com

والقرآن يعتبر اختلاف الألسنة والألوان آية من آيات الله تعالى في خلقه، يعقلها العالمون منهم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

فليس كل الاختلاف شرًّا، بل الاختلاف قسمان: اختلاف تنوُّع، واختلاف تضادٍّ، والأول محمود، والآخر مذموم[1].

تسامحنا وتسامحهم:

هكذا رأينا الإسلام يقرُّ التعددية بكل ألوانها وصورها، ويعلِّم المسلمين: أن الحياة تتسع للمخالف، ولا بد أن يربَّى الناس على هذه الحقيقة، أن يسع بعضهم بعضًا، ويقبل بعضهم بعضًا، وتتسع صدورهم لمخالفيهم في العقيدة، أو في الفكر، أو في اللون، أو في اللسان، أو في العرق، أو في الثقافة، يجب أن يربَّى الناس على هذه الحقيقة.

ولذلك نستغرب أن أوروبا التي تقول: إنها أم الديمقراطية وأم الحرية تحاول أن تضغط على بعض مواطنيها حتى يفقدوا شخصيتهم الدينية وحريتهم الدينية، وتفرض ذلك عليهم الأغلبية بقرار منها، ومعنى ذلك: أن تصبح الأكثرية دكتاتورية مسلَّطة تفرض رأيها على الأقلية، وتذيبها بالقوة، ولا تُبقي لها شخصية دينية أو ثقافية.

لقد كان الإسلام أعرق منهم في إقامة التعددية بكل ألوانها وبكل صنوفها.

---

(١) انظر في ذلك كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم صـ٤٩ ـ ٦٥.

QaradawiBooks.com

ولهذا عاش الناس في بلاد المسـلمين يعرف بعضهم حقوق بعض، ويتسع بعضهم لبعض، ويتفاهم بعضهم مع بعض، ويتعاون بعضهم مع بعض، بقيت المساجد والكنائس في كثير من الأحيان متجاورة، يسمع الناس أذان المؤذِّن، ويسمعون دقَّات النواقيس في بلاد الإسلام، لم يضِقْ صدر المسلمين بهذا، بل بقُوا متفاهمين متعاونين، وهذا هو الدين السمح، الدين صاحب الأفق الواسع الرحب، دين الإسلام.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا لفهْم هذا الدين، وحُسْن الالتزام به، وحسن الدعوة إليه، إنه سميع قريب مجيب.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٤٣
سورة البقرة		
﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	١٩١	٤٩
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٤٩
﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	٢١٧	٤٩
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾	٢١٧	٣٢
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ...﴾	٢١٧	٢٨، ٣٤، ٣٩
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	٢٥٦	٤، ١٧، ٣٨، ٤٩
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	١٩	٥٠، ٥٢
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾	٦٤	٤، ٤٣، ٤٤
﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ ...﴾	٧٢	٣٩

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	٨٥	٥٢
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٣	٦٤
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ... ﴾	١٠٥	٦٤
سورة النساء		
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ... ﴾	٣٥	٥٩
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	٧٧	١٢
﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ... ﴾	٩٥	٤٦
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ... ﴾	١٣٥	٥٤
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... ﴾	١٧١	٥٠
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ... ﴾	١٧١	١٤
سورة المائدة		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾	٨	٥٤
﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٨	٥٤
﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٣٢	٥٤
﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	٣٣	٣٤
﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ... ﴾	٤٢	٢٤
﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	٥١	٣٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ... ﴾	٥٤	٣٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾	٧٧	٥٠
﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾	٩٥	٥٩
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾	١٠٠	٤٦
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾	٣٨	٤٧
سورة الأعراف		
﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٩	١٠
سورة يونس		
﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	١٨
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ...﴾	٩٩	٤، ١٦، ٣١، ٣٨، ٤٨
﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	١٠٨	٤٨
سورة هود		
﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾	٢٨	٤٩
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ...﴾	١١٨، ١١٩	١١، ٤٨، ٥٢
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٤٧
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	٤٣، ٤٤
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾	١٢٥	٤، ١٣

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...﴾	٧٠	٥٣
سورة الكهف		
﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	٢٩	٤٨
سورة الأنبياء		
﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	٢٠	٤٨
سورة الحج		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ ...﴾	١٧	٥٣
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ...﴾	٣٩، ٤٠	١٢
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾	٤١	٦٠
﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ...﴾	٦٨، ٦٩	٥٣
سورة النور		
﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ...﴾	٣١	٢٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ...﴾	٥١	٢٧
سورة الفرقان		
﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	٤٨
سورة العنكبوت		
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	٤٦	١٣

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ...﴾	٢٢	٤٧، ٦٦
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ...﴾	٣٠	٩
سورة الأحزاب		
﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾	٤	٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ...﴾	٣٦	٢٧
سورة فاطر		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ ...﴾	٢٧، ٢٨	٥٧
سورة الزمر		
﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٩	٤٦
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ ...﴾	١٧، ١٨	٨
سورة غافر		
﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾	٨٤	١٨
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٥٢
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾	٤٦	٤٨
سورة الشورى		
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ ...﴾	١٥	٥٣

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	٢٣	١٥
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ...﴾	١٣	٤٥، ٤٦
سورة قٓ		
﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ ...﴾	٤٥	٤، ٣١
سورة التغابن		
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ...﴾	٢	١١، ٥٢
سورة التحريم		
﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٤٨
سورة الغاشية		
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢١، ٢٢	٣١
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ...﴾	١ ـ ٦	٤، ١٥، ٤٩، ٥٠
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ...﴾	١ ـ ٤	٤٣

❋ ❋ ❋

QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
٥	اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك
٥٤	أليست نفسًا؟!
١٢	إني أمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا
٤٥	أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب
	ت
٤٠	التارك لدينه؛ المفارق للجماعة
	س
٥	السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية
٦٠	السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره
	ل
٦٤	لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا
٣٦	لا تقطع الأيدي في الغزو
٤٧	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرتُ بقتلها

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
م	
مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له	٣٦
من بدَّل دينه فاقتلوه	٣١، ٣٦
مَن قتل قتيلًا فله سلبه	٣٦

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمـة ٧

❖الحرية الدينية في شريعة الإسلام ٩

١ ـ أهمية الدِّين في حياة الناس ٩

٢ ـ اختلاف الدِّين حقيقة واقعة ١١

٣ ـ العلاقة بين الأديان: حوار أم صراع؟ ١٢

لا مشكلة عندنا مع المسيحية ١٣

٤ ـ الحرية الدينية ١٤

أولًا: حرية الاعتقاد ١٦

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ثانيًا: حرية التعبُّد وممارسة الشعائر ١٨

ثالثًا: حرية أداء الواجبات التي يفرضها الدين ٢٠

رابعًا: حرية الامتناع عن المحرمات دينيًا ٢١

خامسًا: حرية غير المسلم فيما يحله دينه وإن حرمه الإسلام ٢٣

سادسًا: حرية غير المسلم في الاحتكام إلى دينه في الأحوال الشخصية .. ٢٤

الحريات التي يرفضها الإسلام ٢٥

١ ـ الحرية التي تُحرِّف الإسلام ٢٥

٢ ـ حرية الانسلاخ من أحكام الشريعة ٢٦

٣ ـ الحرية التي تهدِّد نظام المجتمع ٢٨

حرية تغيير الدِّين (الرِدَّة) ٢٩

خطر الردة على المجتمع المسلم ٣٢

إجماع الفقهاء على عقوبة المرتد ٣٤

القرآن وعقوبة المرتد ٣٤

استتابة المرتد وجوبًا ٣٥

سر التشديد في عقوبة الردة ٣٨

كلمة أخيرة ٤١

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ **التعَدُّدِيَّة في نظَرِ الإسلام ٤٣**
وحدانية الخالق ٤٣
تعددية الخَلْق ٤٤
التعددية اللسانية واللغوية ٤٧
التعددية الدينية ٤٨
مفاهيم تعين المسلم على التسامح ٥٢
الاختلاف واقع بمشيئة الله ٥٢
حساب الناس موكول إلى الله وحده ٥٣
احترام آدمية الإنسان ٥٣
الإنصاف والعدل مع الجميع ٥٤
التعددية الثقافية ٥٥
تنوُّع الثقافات تُثري به الحضارة ٥٧
التعدُّدية السياسية والحزبية ٥٧
معارضة الأفراد للحاكم ٥٨
معارضة الأحزاب للحاكم ٥٨
تصوُّر غير صحيح للدولة الإسلامية ٦٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعدُّد الأحزاب كتعدُّد المذاهب في الفقه ٦٢

التعدُّد والاختلاف ٦٤

تسامحنا وتسامحهم ٦٦

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٧١**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٧٧**
- **فهرس الموضوعات ٧٩**

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com